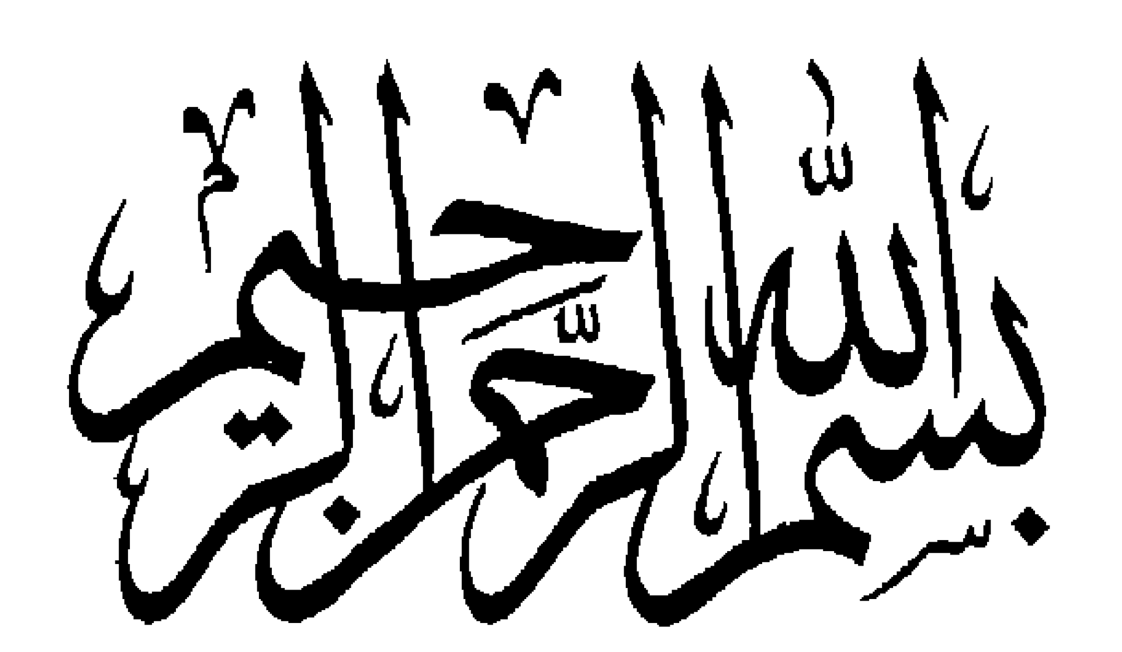
الإختبارات النفسية

تأليف

آمنه حسن النادي







الاختبارات النفسية

الاختبارات النفسية

آمنة حسن عبد الرحمن

الطبعة الأولى

٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤/٩/٤٦٦٢)

١٥٠

عبد الرحمن، آمنه حسن
الاختبارات النفسية / آمنه حسن عبد الرحمن .- عمان: شركة المستشارون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤

(   ) ص.
ر. إ. : ٢٠١٤/٩/٤٦٦٢ .
الواصفات: /علم النفس//الأطفال/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-8694-1-0 (ردمك)

كل الحقوق محفوظة

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لدار المستشارون – عمان – الأردن، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملاً أو مجزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على كمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

دار المستشارون للنشر والتوزيع

الأردن – عمان – شارع الجامعة الأردنية – مقابل
كلية الزراعة (الجامعة الأردنية)
مجمع سمارة التجاري (٢٣٣)

الفهرس

مقدمة

إن العملية التربوية تتضمن عناصر هامة وأساسية وهي المعلم والمنهاج والمُتعلم والطرق والأساليب المستخدمة في التعليم والتدريس والتقويم؛ وتهدف العملية التعليمية بكل مرحلة من مراحل التعليم لتحقيق مجموعة من الأهداف التي ينبغي تحقيقها لينمو الطفل أو المتعلم بجوانب حياته المختلفة. وكثير ما تُصدر أحكاماً قد تكون في غالبيتها غير دقيقة وعامة وأحياناً قد تكون مُجافية للحقيقة الواقعة؛ فلكل فرد أو شخص (خصوصية) يتفرد بها من ناحية نفسية واجتماعية وعقلية، وهذه المنظومة الخاصة تؤثر وتتأثر بالظروف الأسرية والاجتماعية المحيطة، من هنا نجد أحياناً قصوراً واضحاً في إصدار الحكم على كثير من الأفراد، وفي الغالب نلمسْ أنها تقتصر على الجانب التحصيلي المدرسي وعلى جانب واحد (المعرفي)، دون الالتفات للجوانب الانفعالية والاجتماعية والنفسية، من هنا نتحدث عن الاختبارات ومدى قياسها للميول والاتجاهات والقدرات والمهارات، فالاختبار الجيد هو الذي يقيس ما وضع من أجله؛ بمعنى مدى تحقيق الأهداف بمختلف المستويات. لذا تحدثنا عن الاختبارات والمقاييس النفسية، وتطوّر استخدامها في التعليم وبالمدارس، وهنا نُشير إلى مختلف الاختبارات والمقاييس، فقد أشرنا للاختبارات الخاصة: (حيث يستخدم في اختبار القدرة الموسيقية أو القدرة الفنية أو القدرة الميكانيكية أو القدرة الكتابية)، وكذلك اختبارات الذكاء: والتي تقيس عاملاً عاماً، أو تلك

التي تقيس عوامل متعددة، وأيضاً، اختبارات التكيف الشخصي والاجتماعي، والتي تتضمن تسجيلات النواحي الخارجية، واختبارات الميول، والتقديرات، والمشكلات الشخصية، وقوائم المشكلات، وأخيراً نشير إلى اختبارات التحصيل الدراسي، والتي تتضمن: اختبارات المطالعة، والتاريخ والرياضيات والحساب والجغرافيا وبقية المواد الأخرى، فأغراض الاختبارات إما أن تكون لقياس قدرة الإنسان أو موهبته للقيام بنشاط مُعين، أو قياس قُدرة الإنسان على القيام بالعمل المدرسي أو الأكاديمي، أو قياس قدرة الإنسان على مواجهة مشكلات الحياة اليومية وتحديد صفاته الشخصية، أو قياس درجة الإنسان في تحصيل المواد الدراسية المختلفة، فكان من المفيد توضيح خصائص الاختبار الجيدة، وشروط الاختبار الجيد، ومعرفة مدى ثبات وصدق الاختبار، وموضوعيته، وتم الإشارة للمقاييس الإسقاطية، والاختبارات المقننة، والاختبارات الجمعية والفردية.

كما تجدر الإشارة هُنا بأن قيام المعلمة بتسجيل الملاحظات والمشاهدات والمواقف عن كل طفل ضرورية، وهذه مهمة في مقياس العلاقات السوسيومترية (اختبارات العلاقات الاجتماعية)، من هنا فقد أدرجنا مجموعة من الأدوات والوسائل والمقاييس التي تسهم في عملية تقييم الطلبة ومخرجات العملية التربوية عموماً؛ إذ يلعب المرشد التربوي دوراً هاماً في تحقيق وتنفيذ برامج الاختبارات النفسية وقد أشرنا في الكتاب أيضاً إلى أنماط التفكير عند الأطفال، ووسائل التنظيم الذاتي لدى الأطفال والتي تفيدنا في توجيه وتوعية وتقييم مسارات أبنائنا.

حقيقة يجب ألا تغيب عن كل أم وأب

نفسية الطفل تتشكل منذ ميلاده

حقيقة يجب ألا تغيب عن كل أم وأب
نفسية الطفل تتشكل منذ ميلاده

الظن بأن الطفل لا يحيا حياة نفسية في صغره ظن خاطئ،فمنذ الأيام الأولى لميلاده تتشكل هذه النفس وتنطبع بمن حولها وبما حولها، حتى ليصدق القول بأن حياة الإنسان المستقلة هي انعكاس لطفولته من حيث سلوكه النفسي فهو سوي إذا كانت هذه الطفولية سوية، وهو غير سوي إذا كانت طفولته غير سوية.

- كيف يحدث ذلك ؟
- وكيف نضمن لأطفالنا نفساً سوية في المستقبل ؟
- ما هي الأسس التي يمكن الاعتماد عليها ؟

أسئلة هامة ... وفي هذا المقال الإجابة عنها:

نفسية الطفل:

تعتبر السنوات الأولى من حياة الطفل أساسية في تكوينه وفي سلوكه في المستقبل كإنسان ناضج، فمن المعروف أن الطفل عند ولادته يتصور نفسه مركزاً للكون،وأن كل ما عداه لا يكون موجوداً بالنسبة له

من الناحية النفسية لكنه بعد فترة قصيرة يأخذ في الإحساس بشخص يهتم به، يمنحه الغذاء والحب والطمأنينة، هو أمه في أغلب الأحوال.

إن الصغير يتصور أن هذا الشخص جزء منه، فيتجه بعواطفه نحوه باعتباره جزءاً مكملاً له، لكن بعد قليل يتبين أن هذا الشخص الذي يتمثل في الأم يتحرك بعيداً عنه، وهكذا يميزها كشخص منفصل عنه، وبرغم هذا فإنه يستمر في منحها عواطفه، وبخاصة عاطفة الحب.

بعض المتاعب:

ومن هنا تتفرع عواطف الطفل تجاه والده، ثم تجاه أخوته وأفراد الأسرة، وتجاه المجتمع الأوسع، ومن العجيب أن عواطف الطفل في هذه المرحلة الأولى تتميز بسرعة التغيير، ففي لحظة يحب أمه لأنها ترضعه، وفي أخرى يحس بالكراهية لها لأنها لم تستجب لمطالبه، وقد تظهر هذه الكراهية في صورة عدوان من الصغير على أمه، فيقوم "بعض" حلمة الثدي، ويسيء إليها في مرحلة الفطام، وهكذا فإن علاقة الطفل بأمه هي علاقة أساسية في تكوين شخصيته المستقبلة، وينبغي أن نلاحظ أن هذه العلاقة تكون وثيقة منذ البداية بشكل كبير عندما تقوم الأم بإرضاع الطفل أو تنظيفه، ثم تأخذ في التحول مع نمو الطفل، حين يجد أصدقاء يلعب معهم، ومن ثم يقل اهتمامه بالأم والأسرة إلى حد ما.

لكن العلاقة بين الأم وطفلها قد تعتريها بعض المتاعب والمشاكل، التي يجب أن تلتفت إليها كل أم، حتى يشب ابنها سليماً من الناحية النفسية، فمثلاً قد تؤدي القسوة في معاملة الصغيرة وشدة النظام الذي تفرضه الأم على حياته إلى إحساسه بأن هذه هي صورة المجتمع الذي سيعيش فيه مستقبلاً، وهنا يبدأ في الشك فيمن حوله، ويبتعد عنهم ويتصورهم دائماً في صور الوحوش التي تريد أن تقسو عليه، في نفس الوقت فإن هذا من شأنه أن يساعد على تكوين الضمير القاسي لدى الطفل، فيتعامل مع نفسه بطريقة قاسية، ويحاسب نفسه كل خطأ مهما كان تافهاً.

وكل من هذين الطريقتين يؤديان في النهاية إلى كثير من الأمراض النفسية.

كذلك التدليل "الدلع" نقيض القسوة، إنه يؤدي هو الآخر إلى تكوين " هش" لشخصية الطفل، يجعله غير قادر على تحمل الصعاب، ويتصور دائماً أن رغباته يجب أن تلبى وتجاب، بل وملزمة لكل من حوله، وهذا ليس من الواقع في شيء، ومن هنا فإنه يصطدم بالحقيقة، ويصعب تكيفه مع الحياة، ومن ناحية أخرى فإن هذا التدليل يساعد على ضعف نوازع الضمير لدى الطفل عندما ينضج، مما يسهل عليه الوقوع فريسة للانحرافات وأنماط من السلوك الشاذ.

أخطاء تربوية:

ولا يقف الأمر عند هذه المتاعب والمشاكل، بل أن الأم أو الأب بأسلوب التربية الخاطئ قد يكونان سبباً في إصابة نفسية الطفل إصابة مباشرة، ولنأخذ مثلاً.. الأم التي تواجه ترديد الصغير لبعض الألفاظ "الخارجة" مرة بالضحك، وأخرى بالعنف، هنا لا يستطيع الطفل أن يميز بين الصحيح والخاطئ في سلوكه، ومع تكرار هذا الأسلوب يصبح الابن متردداً، ويصعب عليه اتخاذ أي قرار، ومن ثم لا يمكنه التكيف مع ظروف الحياة، بل أن تكوينه النفسي على هذه الصورة يصبح متناقضاً، مما يجعله غير متكامل، ويؤدي به إلى تفكك في الشخصية، وقد يصل الأمر به إلى جد الانفصام الذهني.

وهناك خطأ آخر تقع فيه الأم في عملية التربية، إنها قد "تصد" الطفل باستمرار، ولا تمنحه الحب والحنان اللازمين له وقد يصل الأمر إلى حد الحرمان الكامل الذي قد يحدث أيضاً لو لم تكن الأم نفسها موجودة، هنا يشعر الصغير بالحرمان العاطفي،فتتأثر نفسيته تأثيراً سيئاً بالإضافة إلى التأثيرات العضوية المختلفة، فهو في موقف الحرمان يعاني من الخوف والكآبة والأرق وفقدان الشهية، وقلة الوزن، وغير ذلك من الأعراض بل أن الحال قد يصل به إلى نمط سلوكي كان قد تعدى

مرحلته، كأن يتبول على نفسه، أو يمص أصابعه، أو غير ذلك من أنماط السلوك المختلفة.

ولما كانت علاقة الطفل بأبيه علاقة مؤثرة في حياته مثل علاقة الأم، إذ ينقل عنه مثله ونظرته إلى الحياة وتصرفاته وسلوكه، الأمر الذي يؤكد أن شخصية الأب تساعد على تكوين ملامح الصغير الخاصة بالطفل، سلباً كان ذلك أم إيجاباً، فإذا كان الأب مثلاً قاسياً، انطبع بذلك الطفل بوضوح، ومثل ذلك كان متسامحاً، أو حتى فجا في تصرفاته.

ولا يصح أن ننسى علاقة الطفل بأخوته، وهنا يجب أن ندخل في حسابنا الفاصل الزمني بين الطفل والذي يليه، فإن تعدد الأطفال مع تقارب السن قد يؤدي فعلاً إلى الإهمال في التربية نتيجة الأعباء التربوية الكثيرة على الأم، كما أن قدوم الطفل الجديد دون أن يكون الذي سبقه قد وصل إلى المرحلة المستقلة من التكوين النفسي، وهي بعد سن الثانية على الأقل، كفيل بإيجاد نوع من القلق لدى الطفل، فقد انصرفت أمه إلى الوافد الجديد بكل كيانها.

عوامل أخرى:

لذلك يجب أن تكون المدة بين إنجاب طفلين من سنتين إلى أربع، كما أن تعدد الأطفال بجانب الأعباء الاقتصادية التي تواجه الأسرة، يقلل

فرصة الصحة النفسية لأفرادها، نظراً للاحتكاك المستمر بين الأبناء، ومن الواجب على أية حال، ومن أجل سلامة الأبناء النفسية التركيز على عدة أساسيات هامة:

- يجب إفهام الصغار دائماً أنهم ينتمون إلى أسرة واحدة.
- وبأنهم مطالبون بالتعاون بين بعضهم البعض.
- ويجب على كل منهم أن يبذل كل طاقة لكي يصلح من نفسه، وحتى يسعد أسرته.

هذه هي عوامل نفسية هامة في تكوين الطفل، ولكن إلى جانبها تبرز عوامل اجتماعية، وأخرى عضوية، فأما العوامل الاجتماعية فإنها تؤثر بشكل كبير في تكوين الطفل.

فالأسرة ذات الدخل الكبير غير ذات الدخل الصغير، والمسكن الفسيح الصحي غير المسكن الضيق غير الصحي، وكثرة عدد الأطفال غير قلة عددهم.. وهكذا..

ومن هنا فإن العلاقة وثيقة بين العامل الاجتماعي وتكوين الطفل ونشأته، ثم لا ننسى العوامل العضوية ودورها في هذا الشأن، كأن يصاب ببعض الأمراض الوراثية، أو المكتسبة كالنزلات الشعبية والرئوية

وغيرها.. إن ذلك يؤثر في نفسه تأثيراً بالغاً، وهنا يبرز دور الوالدين في الآخذ بيده.

وهكذا فإن نفسية الطفل تبدأ في التكيف منذ أيامه الأولى،وتحتاج من كل من الوالدين اهتماماً كبيراً، وعناية خاصة، ليشب سليماً من الناحية النفسية، حين يصبح شاباً، وزوجاً وله أسرة.

الحاجة إلى الاختبار

لقد أصبحت الاختبارات السيكولوجية والتربوية تطبق بشكل واسع على الأطفال ومن المهم جداً أن نهتم بهذه الاختبارات وأخذها بعين الاعتبار لأنها هي التي تسمح لنا بأن نصل إلى أذهان أطفالنا والتقرب والتعرف عليهم أكثر فأكثر واكتشاف قدراتهم وميولهم وإمكانياتهم.

ومن هنا نجد أن القياس النفسي في الوقت الحاضر يلعب دوراً كبيراً في الجهود الذي يبذله المربون لكي يفهموا نفسية الأطفال وبذلك يتمكن المربون والآباء أن يجعلوا الطفل أكثر تفهماً لنفسه.

أهداف جديدة للتربية :

كان اهتمام المدارس في السنوات الماضية متجهاً في أغلب الأمر نحو تلقين الحقائق للأطفال وتنمية مهاراتهم المختلفة، وكان الغرض من الاختبارات التي كانت تستخدم في ذلك الوقت هو معرفة ما إذا كان الطفل قد حفظ هجاء بعض الكلمات، أو أنه حفظ تاريخ اكتشاف أمريكا، وكان إذا ما أخفق طفلنا في شيء من هذين، أو إذا سبب سلوكه في المدرسة مشكلة لمدرسيه أو لزملائه، فإنه يؤاخذ بأن ترسل المدرسة إلى وليِّ أمره تقريراً يشير إلى سوء سلوكه كما كان يعاقبه مدرسوه، أما والداه فإنهما كانا يتألمان لإخفاقه، وفي معظم الأحيان لم يكن الطفل نفسه أو والداه أو مدرسوه يعرفون السبب الذي من أجله لم يستطع أن يقوم بما طلب منه في المدرسة، أو لماذا لم يستطيع أن يقوم به على وجه أفضل.

ولكن السنوات التي قضاها العلماء في دراسة نمو الأطفال وحاجاتهم المختلفة في كل مرحلة من مراحل نموهم، أدت إلى إحداث تغيرات هامة في أهداف التربية، وأصبح علماؤها في الوقت الحاضر مقتنعين بأن الأطفال يختلفون في ميولهم ويتفاوتون في قدراتهم كما يتباينون في النظام الذي يتبعونه في نموهم، ويؤكد المدرسون الآن أنه لا بد من دراسة شخصية الطفل والعوامل التي شكلتها، كما يرون ضرورة مساعدته على النمو إلى أقصى ما يستطيع.

إشباع حاجات الأطفال :

وقد أدى الأخذ بهذه الأهداف إلى تحول اهتمام المدارس عن تلقين المعلومات لأطفالها إلى محاولة تعرف حاجات هؤلاء الأطفال وإشباعها، كما أدى الاهتمام المتزايد بتوجيه التلاميذ وإرشادهم إلى حث العلماء على وضع اختبارات جديدة أفضل من الاختبارات القديمة حتى نستطيع أن نعرف عن أطفالنا أكثر مما كنا نعرف من قبل.

وقد وضعت اختبارات لقياس كل ناحية من حياة الأطفال تقريباً، ومن الممكن أن تكون لهذه الاختبارات قيمة عظيمة إذا أحسنا استخدامها، فعن طريقها نستطيع أن نعلم الشيء الكثير مما يحتاج إلى معرفته عن التلاميذ.

العوامل التي تعوق إشباع الحاجات النفسية للطفل

العوامل التي تعوق إشباع
الحاجات النفسية للطفل

هناك عوامل متعددة تؤدي إلى عدم إشباع الحاجات النفسية لطفل، وفيما يلي أهم هذه العوامل وأثرها على الطفل وكيفية التغلب عليها:

الضعف العام والتشوهات الخلقية:

إن الضعف العام يؤثر على ثقة الطفل – بنفسه –،وذلك لعدم قدرته على عمل ما هو مطلوب منه، وهو يجد صعوبة في التوافق ويشعر بأن الدنيا صعبة، وأن كل الناس تكرهه، ويمكننا أن نساعد هذا الطفل لو عرفنا سبب هذا الضعف، فقد يكون سوء التغذية وفقدان الشهية وتسوس الأسنان، والتهاب اللوز المزمن، وهذه عوامل لا تبدو في شكل مرض يقعد الطفل ولكنها تضعف حيويته فلا يستطيع أن يجاري زملاءه في اللعب ولا يستطيع أن يؤدي واجباته كاملة فإذا عالجنا السبب وأعطينا الطفل المقويات والفيتامينات زال عنه الضعف واكتسب حيوية تساعد على التوافق.

أما التشوهات الخلقية مثل شلل الأطفال أو فقدان أحد الأطراف أو وجود علامة خلقية كبيرة تشوه منظر الطفل، فهذه عوامل تسبب للطفل الشعور بالنقص.. وتتوقف صحة الطفل النفسية على اتجاه

الأبوين نحو المشكلة، فالآباء الذين يقبلون الطفل على ما خلق عليه مع محاولة تنمية القدرات السليمة الأخرى يساعدون الطفل كثيراً على التوافق مع المجتمع، وعلى المدرسة أن تعوض الطفل هذا النقص أيضاً ويجب على الأطفال الأصحاء أن يساعدوا الطفل العاجز أو المصاب ويشركوه في ألعابهم التي يقدر عليها.. وبذلك يكتسب الأطفال نضجاً اجتماعياً ويتخلص الطفل من الشعور بالنقص.

فقدان الحواس أو ضعفها :

أ- النظر: قد يسبب ضعف النظر كثرة أخطاء الطفل وعدم ميله للقراءة أو الكتابة – وتشخص هذه الحالات عادة بواسطة الكشف الشامل بالمدارس وبذلك يسهل علاجها بصرف النظارات اللازمة. ويوضع الأطفال في مقدمة الفصل، أما في حالة فقد البصر نهائياً، فيوضع الطفل في المعهد الخاص بذلك حيث تستعمل حاسة اللمس في القراءة والكتابة بطريقة "برايل" وحيث تستعمل حاسة السمع لمساعدة الشخص على المشي ومعرفة الاتجاه والمكان والعوائق في الطريق (وذلك بسماع صدى صوت خبطة العصى).

ب- السمع: تعتبر حاسة السمع من أهم الحواس للتفاهم مع الناس، فالطفل الأصم يجد صعوبة كبيرة في فهم ما يريده الناس، كما يجد صعوبة في التعبير عما بنفسه وعما يريد، لذلك فالأطفال الصم والبكم يكونون أكثر عرضة للاضطراب النفسي عن الأطفال العميان، وإذا كان ضعف السمع بسيطاً سبب ذلك عدم قدرة الطفل على التركيز نتج عنه أخطاء في الفهم وارتباك الطفل ويمكن مساعدة الطفل في هذه الحالة باستعمال سماعة خاصة به.

أما الأطفال الصم والبكم فيتم توجيههم بإلحاقهم بالمعهد الخاص بهم وهم يتعلمون فهم الكلام عن طريق قراءة حركات الشفاه ويتعلمون التفاهم والتعبير عن طريق الإشارات أو تقليد حركات الشفاه مع وضع اليد على الحنجرة للتأكد من صحة الأصوات.

اضطراب علاقة الطفل بالأم

إذا اضطربت هذه العلاقة لأي سبب من الأسباب فقد الطفل الشعور بالأمن في مطلع حياته، وأثر ذلك على كل سلوكه في حياته مستقبلاً، وتضطرب علاقة الأم بالطفل لأسباب مختلفة منها:

1- عدم رغبة الأم في إنجاب الطفل للظروف المادية المحيطة بالأسرة أو لكثرة عدد الأولاد.

2- الخوف من صعوبات الولادة وذلك لعدم نضج الأم، وتركيزها الزائد على نفسها مما يجعلها تخشى تشويه جسمها بالحمل والرضاعة وتأبى تحمل المسؤولية والتعب في تربية الطفل.

3- إذا كان جنس الطفل مخالفاً لما كانت تتمناه الأم، اضطربت علاقتها بالطفل لعدم رغبتها فيه.

4- الخلاف المستمر بين الزوجين يجعل الأم تكره وجود أطفالها أو على الأقل لا شعورياً لأنهم سبب في استمرارا العلاقة الزوجية الكريهة.

5- قد تصاحب ولادة الطفل ظروف سيئة كأزمة مالية مثلاً أو وفاة شخص عزيز للأم وقد يؤدي ذلك إلى التشاؤم من وجود الطفل الذي لا ذنب له.

6- نقص الطفل في نظر الأم لأي سبب من الأسباب مثلاً

قبح الشكل أو نقص الذكاء أو التشوهات الخلقية ... الخ.

اضطراب العلاقات الأسرية

أ. الخلاف المستمر بين الزوجين يؤدي إلى شعور الأطفال بالقلق وعدم الأمن وتوقع الانفصال وتحطيم الأسرة وتشريد الأطفال

ب. تفضيل أحد الأبوين لأحد الأخوة عن الآخر لكونه الأكبر أو الأصغر أو الأجمل أو الأذكى أو الأهدى، وتفضيل البنين على البنات أو بالعكس أو يكون الطفل وحيد الجنس فيؤدي ذلك إلى ظهور الغيرة بين الأخوة.

ج. انحراف أحد الأخوة أو اضطرابه قد يعكر صفو الأسرة بأكملها وكذلك وجود قريب مضطرب نفسياً ويسكن مع الأسرة يسبب اضطراباً كبيراً في العلاقات الأسرية مثل الحماه أو الجد أو العمة أو الخالة.

عدم الاختلاط بالمجتمع

حرمان الطفل من المؤثرات الاجتماعية والاختلاط بالأطفال الآخرين يعوق نموه الاجتماعي فينشأ منطوياً أنانياً لا يستطيع التعاون مع الآخرين ويشعر بالقلق وعدم الاطمئنان لعزلته عن إخوانه.

وقد تلجأ بعض الأسر إلى عزل أطفالها، وخاصة البنات وذلك تمسكاً بالتقاليد وعدم مسايرة الأسرة لتطور المجتمع يؤدي إلى ضرر كبير على الصحة النفسية ويعوق التكيف الاجتماعي.

سوء معاملة الأطفال

وهو ناتج عن جهل الأم بقواعد الصحة النفسية،مثلاً التبكير أو التأخير في ضبط وظائف الإخراج أو حماية الطفل حماية زائدة في السنين التي يحتاج فيها إلى الشعور بالاستقلال "المرحلة الابتدائية " أو الضغط على الطفل لتعلم أشياء خارجة عن حدود قدرته أو – الموازنة بين الطفل وأخوته سواء من حيث الذكاء أو الشكل أو غير ذلك من الأسباب – فيتولد لدى الطفل الشعور بالغيرة وهو شعور مؤلم يجعل صاحبه قلقاً،وأساس هذا الشعور عادة هو ضعف الثقة بالنفس ونتيجة الغيرة قد تنمو عند الطفل انفعالات الحسد والغيرة، فلا يستريح لنجاح غيره،ونجده قليل التعامل مع الناس لا يسهل انسجامه معهم،ولا يميل إلى التعاون أو الأخذ والعطاء فيصبح أنانياً يهتم بحقوقه أكثر مما يلتفت إلى واجباته ويميل أحياناً إلى الانزواء وإلى نوع من الهجوم بالتشاجر أو النقد أو التشهير أو الإيقاع بغيره ويشعر عادة فوق ذلك بأنه مظلوم مضطهد سيئ الحظ.

واجب الآباء لمنع الغيرة

1- **يجب على الآباء**: أن يقلعوا عن الموازنات الصريحة واعتبار كل طفل شخصية مستقلة لها مزاياها واستعداداتها الخاصة بها، فإذا نجح طفل في عمل ما فيكفي أن يشجع ولا يوازن بغيره.

2- **العمل على إبراز** الناحية الطيبة في الطفل وكشفها والاعتزاز بها وبذلك يمكن أن يزول الشعور بالخيبة المؤدي إلى الشعور بالمذلة والنقص.

3- **الموازنة بين الطفل** ونفسه في أوقات مختلفة فأن تقدم في وقت ما عما كان عليه في وقت سابق فهذا كاف لتشجيعه.

4- **تنمية الهوايات المختلفة** بين الأخوة كالموسيقى والتصوير وجمع الطوابع وغير ذلك – وبذلك يتفوق كل في ناحية يوازن نفسه بنفسه.

5- **المساواة في المعاملة** بين الابن والابنة لأن التفرقة في المعاملة يؤدي إلى شعور الأبناء بالغرور ويثير حفيظة البنات وينمى عندهن غيرة تكبت وتظهر أعراضها في صور أخرى في

المستقبل ككراهية الرجال عامة وعدم الثقة بهم وغير ذلك من المظاهر.

6- **عدم إغداق** امتيازات على الطفل العليل فإن هذا يثير الغيرة في الأخوة الأصحاء، وتبدو مظاهرها في تمنى المرض وكراهية الطفل المريض أو غير ذلك من مظاهر الغيرة الظاهرة أو المستترة، وذلك لا يجوز إعطاء الطفل المريض أي اعتبار أكثر من العناية التي يتطلبها المرض.

7- **الوقاية المسرفة**: بعض الأمهات والآباء يبدو عليهم انحراف خاص أحياناً في شخصياتهم بسبب الظروف الأولى كالتنشئة على الأسباب الاتكالية، أو ظروفهم الراهنة كتكرار فقد الأطفال أو عدم توافر الهناءة الزوجية أو غير ذلك.. لذلك قد يشعرون بلذة كبرى في أن أولادهم يعتمدون عليهم في كل شيء متعلق بأمورهم، وقد تصل بهم الحال إلى أنهم يضعفون في أولادهم كل ميل للاعتماد على النفس ويقتلون فيهم القدر على الاتصال بالغير اتصالاً منتجاً.

وقد تسبب الوقاية المسرفة مرضاً أو أمراضاً جسمية تصيب الطفل، فتصبح شخصية الطفل باستمرار مركزاً لانتباه الوالدين، وقد

يصل العطف إلى درجة التدليل، فيظل معتمداً على والديه في كل رغباته، ويفقد الاعتماد على النفس، ويكون لذلك أثار سيئة عليه في المستقبل.

لذلك فإن واجب الآباء والأمهات أن يساعدوا أطفالهم على إشباع حاجاتهم، ولكن يجب ألا يبالغوا في مساعدتهم إلى الحد الذي يجعل الأطفال يفقدون القدرة على الاستقلال عنهم.

ما تقيسه الاختبارات

كثيراً ما يتساءل الناس:

- هل لليلى من المواهب ما يجعلها تستفيد من دروس الموسيقى ؟
- وهل لسليمان من الذكاء ما يجعله ينجح في الجامعة ؟
- وسمير، هل هو طفل عادي على الرغم من النوبات التي تنتابه ؟
- وزكي هل تتفق قدرته في القراءة مع عمره ؟
- وسوسن، هل يجب أن نحولها إلى فصل يضم التلميذات المتأخرات في دراستهن ؟

إننا نستخدم الاختبارات النفسية لكي نستطيع الإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بقدرات أطفالنا وسلوكهم ومهارتهم الخاصة، ونحن نرمى عادة من الإجابة عن مثل هذه الأسئلة إلى غرض معين هو معاونتنا على الوصول إلى قرار بشأن أطفالنا، أو توجيهنا إلى اتخاذ إجراء ما.

المقاييس النفسية :

وتتكون الاختبارات النفسية من مجموعة من الأسئلة وضعت خصيصاً لكي تقيس بعض مظاهر السلوك الإنساني، وهذه الأسئلة – لأسباب سنناقشها فيما بعد – يجب أن تختار بعناية تفوق العناية التي نوليها معظم الاختبارات العادية.

وقد تطور استخدام هذه المقاييس النفسية في السنوات الأخيرة،فحين بدأنا في استخدام الاختبارات كوسيلة للقياس كنا نكتفي بالدرجة التي يحصل عليها المختبر ثم نضعه بناء على ذلك في رتبته بالنسبة لغيره، ولهذا كانت هذه الدرجة هي الهدف الأساسي من الاختبار، فإذا حصل الطفل في اختبار للذكاء على درجة تعطيه نسبة ذكاء قدرها 125 كنا نعتبره فوق المتوسط في الذكاء بالنسبة للأطفال الآخرين الذين هم في مثل سنه، وكنا نكتفي بذلك.

أما الآن فقد بدأنا نشعر بأن القياس بوجه عام، والقياس النفسي بوجه خاص، وسيلة وليس غاية في حد ذاتها، كما هو الشأن عندما يستخدم الخياط أو النجار "المتر" في القياس لكي يساعده على القيام بعمله ؛ لأن ما يقوم به بعد ذلك يتوقف على نتيجة هذا القياس، وقد أصبح هذا ينطبق أكثر فأكثر على القياس النفسي.

ومن الطبيعي أن نجد لدينا أنواعاً مختلفة من الاختبارات تتبع ما لدينا من أسئلة متنوعة، والجدول الآتي يعطينا فكرة موجزة عن الأنواع المختلفة من الأسئلة التي سنناقشها في هذا الكتاب :

النواحي التي يستخدم فيها الاختبار	الغرض من الاختبار	الأنواع الشائعة من الاختبارات
القدرات الخاصة	قياس قدرة الإنسان أو موهبته للقيام بنشاطٍ معين	اختبارات القدرة الموسيقية. اختبارات القدرة الفنية. اختبارات القدرة الميكانيكية اختبارات القدرة الكتابية
الذكاء	قياس قدرة الإنسان على	اختبارات تقيس عاملاً عاماً

	القيام بالعمل المدرسي أو الأكاديمي.	اختبارات تقيس عوامل متعددة.
التكيف الشخصي والاجتماعي	قياس قدرة الإنسان على مواجهة مشكلات الحياة اليومية،وتحديد صفاته الشخصية.	تسجيلات النواحي المزاجية اختبارات الميول. التقديرات المشكلات الشخصية قوائم المشكلات.
التحصيل الدراسي	قياس درجة الإنسان في تحصيل المواد الدراسية المختلفة.	اختبارات المطالعة. اختبارات التاريخ. اختبارات الحساب. اختبارات الجغرافيا. اختبارات أخرى.

اختبارات القدرات الخاصة :

ولنعد الآن إلى السؤال الأول من الأسئلة التي وضعناها في مستهل هذا الموضوع،إذا أردنا أن نقرر ما إذا كان من الضروري أن تدرس ليلى الموسيقى، فإن في استطاعتنا أن نجرى عليها اختباراً من اختبارات القدرة الموسيقية،ومن المحتمل أن يقيس هذا الاختبار دقة إدراكها لدرجات الأصوات ومدتها، وذاكرتها الخاصة بالنغمات، أو قدرتها على التفرقة بين الألحان وإدراكها للأوزان الموسيقية، فإذا تفوقت ليلى في هذا الاختبار فإن من المرجح أن نقرر إعطاءها دروساً في الموسيقى، ومن الطبيعي أن تفوقها هذا لا يتعين معه نجاحاً إذا أردت أن تتخذ من الموسيقى مهنة لها، ذلك لأن النجاح في مثل هذه المهنة يحتاج إلى أكثر من اجتياز مثل هذا الاختبار، ولكن هذا التفوق يرجح أن ليلى ستنجح إذا هيئت لها دراسة خاصة في الموسيقى.

ولا تتوقف الدرجة التي تحصل عليها ليلى في اختبار القدرة الموسيقية على معرفتها بقراءة "النوتة الموسيقية"، أو على ما تعلمته من دروس الموسيقى حتى يوم إجراء الاختبار، وإن كانت معرفة هذه الحقائق تهمنا جداً، لكنها تتوقف كذلك على أمور أخرى ؛ ذلك لأن الاختبارات الجيدة للقدرات لا تبين لنا مستوى الشخص فحسب، وإنما تشير كذلك إلى المستوى الذي يستطيع الوصول إليه، إذا ما أعطى فرصة

لإعداد نفسه،ولهذا كانت اختبارات القدرات من الوسائل التي يقاس بها الاستعداد للقيام بعمل ما في المستقبل.

وينطبق هذا الكلام على جميع اختبارات القدرات الخاصة، سواء أكانت اختبارات لقياس القدرة الموسيقية، أم القدرة الفنية، أم القدرة الكتابية، أم القدرة الميكانيكية.

اختبارات الذكاء:

من الحقائق التي قلما ندركها في دقة أن الذكاء قدرة خاصة، فهو القدرة على التعلم، والواقع أن اختبارات الذكاء لم تخرج عن كونها اختبارات خاصة تساعدنا على الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالقدرة على التعلم.

ويوجد في الوقت الحاضر نوعان من اختبارات الذكاء:

1- اختبارات تعطينا درجة واحدة تدل على نسبة الذكاء.

2- اختبارات تقيس العوامل المختلفة التي يتكون منها الذكاء وتعطينا درجة لكل عامل من هذه العوامل.

ونسبة الذكاء عبارة عن قيمة عددية تعبر في يسر عما نطلق عليه الذكاء، وهذه القيم العددية تعبر عن الذكاء بشيء من الوضوح والدقة

أكثر مما تفصح عنه عبارات مثل (ذكي ومتوسط الذكاء ومتأخر في ذكائه) ولذلك نفضل استخدام نسبة الذكاء عندما نتحدث عن ذكاء شخص ما.

ومع ذلك فإننا في السنوات الأخيرة قد قللنا تدريجياً من شأن نسبة الذكاء،وبالرغم من هذا فإنها مازالت فكرة قيمة، وبخاصة إذا تذكرنا أنها ليست أمراً نهائياً مقدساً، وأنها لا توقفنا على كل ما نريد أن نقف عليه من ذكاء الطفل بأكمله، وتقوم فكرة نسبة الذكاء على أساس أن الذكاء صفة عامة واحدة، والمعروف أن اختبارات الذكاء تجمع في درجة واحدة ما يحصل عليه الطفل من درجات في أسئلة المفردات والتفكير اللفظي والأعداد وملاحظة أوجه الشبه أو الاختلاف بين الأشكال الهندسية، وينبغي أن نكون على حذر من التنبؤ بكمية التحصيل في مواد دراسية بعينها: ذلك لأن نسبة الذكاء ليست سوى مجرد دلالة على التحصيل الدراسي العام.

وأما النوع الثاني من اختبارات الذكاء، وهي التي تقيس العوامل المتعددة المكونة للذكاء فإنها موضوعة على أساس النظرية التي تذهب إلى أن الذكاء ليس صفة عقلية واحدة ولكنه يتكون من عدة قدرات متباينة، وقد أرجع أحد علماء النفس المشهورين – وهو "ثرستون " الذكاء إلى ثمانية عوامل سماها القدرات العقلية الأولية، ولن نتعرض لوصف هذه العوامل في هذا المجال، ولكن من الممكن أن نذكر من هذه العوامل

إدراك الكلمات، والمعاني المتعلقة بها وحل المسائل المتعلقة بالأرقام بسرعة وبدقة وحل المشكلات المنطقية، والقدرة على رسم خطة العمل قبل البدء فيه.

وهذان الشرطان من الاختبارات يتطلبان من المختبر أن يبرهن على قدرته على التفكير المنطقي، ومن دراسة الدرجات التي يحصل عليها التلميذ نستطيع أن نحدد بقدر كبير من الدقة ما إذا كان في استطاعته أن ينجح في دراسته أم لا.

ومن الواضح أن النجاح في الاختبارات لا يستتبع نجاحاً في الدراسة ؛ إذ أن بعضاً من الطلبة الشديدي الذكاء قد أخفقوا في دراستهم الجامعية إخفاقاً تاماً وربما كان هذا راجعاً إلى عدم ميلهم للدراسة التي تابعوها أو إلى أن الدافع للنجاح كان أمراً يعوزهم وعلى العكس من هذا نجح في الدراسة الجامعية طلاب كانوا متوسطين أو أقل من المتوسط في ذكائهم، وذلك بسبب قوة الدافع للنجاح عندهم، وبسبب دأبهم المتصل في الدراسة، وكثيراً ما ترجع الصعوبة التي يقابلها الطلبة في دراستهم الجامعية إلى بعض المشكلات الشخصية أو الانفعالية، لا إلى نقص في الذكاء، ولدينا في الواقع نوع خاص من الاختبارات التي تعالج بالذات موضوع العوامل الشخصية.

اختبارات الصفات الشخصية والاجتماعية :

من المعتاد أن يطلق على مقاييس الشخصية اسم اختبارات الشخصية، وسنتبع هذه التسمية في هذا الكتاب، ولقد كان من الأفضل – إذا أردنا أن نكون أكثر دقة – أن نشير إليها باسم الاستفتاءات أو الاستخبارات أو القوائم أو السجلات نظراً إلى أنه لا توجد إجابات صحيحة أو خاطئة للأسئلة التي نضعها، ولكننا نطلب من المختبر أن يجيب عن الأسئلة بما يشعر به.

ولعلنا نتساءل: هل نعتبر سميراً من الأسوياء إذا وجدنا أن النوبات العصبية تنتابه في كثير من الأحيان ؟

هذا السؤال ليس من السهل الإجابة عنه على الرغم من وضعنا الاختبارات التي تساعدنا على الإجابة عن هذه الأسئلة ؛ وذلك لأن بعض هذه الصعوبة يرجع إلى تحديد الألفاظ فقد وجد علماء النفس أنه لا يمكن تحديد الشخصية السوية بطريقة محسوسة، ومن المحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى عدم وجود حد فاصل بين ما نطلق عليه السلوك السوي والسلوك المنحرف، فالسلوك الذي يؤدي بأصحابه إلى مستشفيات الأمراض العقلية ليس في الواقع إلا حالات متطرفة من الحالات السوية

مثل الخوف والابتئاس، والواقع أن معنى كلمة سوي كما نستخدمها هو متوسط.

وعندما نتساءل: هل سمير طفل سوي ؟

فإننا في الواقع نتساءل عن شخصيته، وكلمة شخصية تتضمن عدداً من المعاني ؛ فنحن عندما نتحدث عنها نقصد مجموع ميول الشخص واتجاهاته وأساليب سلوكه ومزاجه وكثيراً ما تتضمن قدراته وكفاياته أيضاً.

ومن المحتمل ألا يوجد اختبار واحد يقيس جميع مظاهر الشخصية، ولكن إذا نحن أعطينا سميراً اختباراً أو أكثر مما يكشف لنا عن نواحي الشخصية، فأننا نسأله عما إذا كان يستمتع ببعض أوجه النشاط أم لا، وعن الحالات النفسية التي يشعر بها في المواقف المختلفة، وعما إذا كان يفضل أن يكون في وسط مجموعة من الناس أو أن ينفرد بنفسه، فإذا كانت الدرجات التي يحصل عليها سمير قريبة من الدرجات التي يحصل عليها الشخص المتوسط فإننا نقول أنه شخص سوي، أما إذا اختلفت درجاته اختلافاً كبيراً عن درجات الشخص المتوسط فإننا قد نطبق عليه عدداً كبيراً من الاختبارات ونواجهه في عدد من المقابلات الشخصية لنرى ما إذا كانت مشكلاته تمنعه من أن يعيش عيشة فعالة منتجة.

اختبارات الانفرادية

أكد عالم نفسي بحق إنسان يظن نفسه دائم الوقوف على المسرح يعزف لجمهور غير حاضر إلا في مخيلته، هذا الوعي الذاتي يدخل في روع الحدث أنه نسيج وحده – قوي متين، لا تزعزعه الأعاصير، والبرهان على ذلك تصرفه غير المبالي، تصرفه الطائش النزق أحياناً، وإيمانه بأن الأذى لا يدهم إلا الغير (أستطيع قيادة السيارة بسرعة تسعين ميلاً في الساعة بثبات ومقدرة، مثل هذا الاعتقاد يعكس المراهق صورة مذهلة لفرديته، إنه نسيج وحده كما قلت هذا يقينه والدنيا يراها كما لم يراها سواه، وكما لا يتوقع أن يراها، انفرادية عجيبة.

وانفرادية الصغير تعني أن دنيانا ودنياه تختلفان ولا تتشابهان حتى لو أقمنا تحت سقف واحد، واشتركنا في أحداث واحدة، لا ينبغي لنا أن نعجب متى تكلمت عن ساعات قضيناها معاً في المنتزه، بكلام يختلف عن كلام ابني الصغير ولا يكون السبب ذاكرة ضعيفة فقد يتذكر الأشياء التي وقعت كأنها صورة مفعولة يتغرس فيها، ولكنه لم ير أو يختبر الأشياء نفسها التي رأيتها وأنا واقف أو قاعد معه نحن رأينا أشياء مختلفة وخالجتنا مشاعر مختلفة في الزمان نفسه والمكان نفسه ليس ما أقوله سردا لمشهد في وقت الفجر بل هو نتيجة اختلافات مألوفة عادية في التفكير والتنظير والإدراك بين الصغير والكبير.

اختبارات التحصيل الدراسي :

أما أكثر الاختبارات استخداما في المدارس فهي اختبارات التحصيل،وهي اختبارات تبين مدى معرفة التلميذ للقراءة والكتابة والحساب، وكذلك مدى معرفته للعلوم الاجتماعية والطبيعية، فإذا أراد المدرس أن يعرف ما إذا كان " زكي " يقرأ بالجودة التي تتفق مع سنه فإنه يجد أن هناك اختبارات معدة لذلك وهي اختبارات القراءة التحصيلية ومثل هذه الاختبارات تقيس محصوله من المفردات وسرعته في القراءة.

وقد يتضمن الاختبار بعض القصص القصيرة أو الفقرات التي تتبعها أسئلة تبين ما إذ كان " زكي يفهم ما يقرأ وتبين ما إذا كانت درجة فهمه قد وصلت إلى المستوى المرتجى،وتوضح اختبارات التحصيل للمدارس ما حصله التلميذ من حقائق وما اكتسبه من مهارات وما وصل إليه من فهم وإدراك،وتبين كذلك نوع المستوى الذي آل إليه، وفي هذا تختلف اختبارات التحصيل عن اختبارات القدرات التي ذكرناها آنفاً، فدرجة " زكي " في اختبار القراءة التحصيلي تدل مدرسه على الدرجة التي وصل إليها في القراءة لا على الدرجة التي يمكنه الوصول إليها، وإذا أردنا أن نعرف الدرجة التي ينبغي أن تكون عليها قراءته فالواجب أن نعرف قدرته واستعداده المتقدم في القراءة.

ويزداد الأمر سوءاً بالطبع، فالمشهور عن المراهق اعتقاده بأنه أكثر معرفة من أبويه وله سبب يبرر هذا الظن أو هذا اليقين، فلأول مرة بعد مناداة الخبراء والعلماء بوجوب تطوير مهارات الحدث في مختلف نواحي المعرفة مما يشحذ ذهنه ويرهف نباهته وفطنته، غدا المراهق قادراً على التفكير بصورة تجريدية ليس فيما هو حقيقي فحسب بل أيضاً، فيما يعتبره محتملا وجائزا، والمقدرة الجديدة نزيد فهمه للدنيا المفعمة بالعقد المتنوعة التشابك وتمكنه من وزن الأمور الخطيرة بميزات التفكير العاقل المصيب كما تتيح له التفكير بآراء الآخرين هذه الطاقات المحدثة وما توفره من بصيرة وبصر ثاقبين تنشآن نمطاً جديداً من الفردية فالمراهق يثق بأن معتقداته السياسية والدينية والمعاملة العادلة والحكومة، تعكس آراء متكبرة تجعله لا يصبر (من وجهه نظره) على آراء الكبار البطيئة النابعة من عقول ساذجة كعقول الآباء والأمهات، كل شيء حاولت قوله لأبني المراهق لم أتمكن من التعبير عنه والوفاء به كما أحببت أن أفعل أخوض في كلامي ولا أبلغ نضف الطريق حتى يبادرني مقاطعا:" أنا أعرف " فيبتر كلامي ويبتر رسالتي التي أحاول إبلاغه إياها ولا أزعم أني كنت مختلفاً أبان المراهقة وشبيه بمارك توني الذي سبقني بقرن كنت متأثراً بمقدار ما تعلمه أبي في السنين التي

عشتها من الرابعة عشرة إلى الإحدى والعشرين، أن المراهقة (أو سن الحلم) وقت يحاول فيه الصغير إلقاء الطفولة وراء ظهره وتبني أدوار الكبير وهذا يسفر قراراً عن الوعي الذاتي المتناهي وهذا الوعي الذاتي مقترناً يتزايداً إحاطة الحدث بأفكار الغيره يجعله يجزم أن كل إنسان أخر منتبه إليه مهتم به كما هو وكما هو طبعه وفعله.

اختبارات الاعتناق والتقميص

أو المحاكاة والانتحال لقد بين بعض العلماء النفسيين قدرة الأطفال الذين لا تؤهلهم سنهم بدخول المدرسة على محاكاة الكبار في إظهار مشاعرهم وعواطفهم وهذا يتطلب بلا ريب انتحال شخصية الكبير، ابن الرابعة يحادث الكبير ويحادث من بلغ الرابعة ويحادث من بلغ الثانية وهو في حديثه ابن الثانية يحور كلامه مستعملاً لهجة مختلفة، وجملاً قصيرة كما يفعل الكبير وهو يعرف أن أبن الثانية أقل منه تجربة واختبارا وفهما .

فيقول في كلامه ويبدل في لهجته كي يفهم الصغير ما يقوله والطفلة الصغيرة وهي تحادث دميتها بأصوات من طبقة مرتفعة مقلدة الكبيرة في حدثها مع الأطفال والصغار، لا يتلزم الأطفال والصغار بهذا الموقف وهذه النظرة الواقعية،هم أحياناً يفرطون في فرديتهم في فردية أحياناً

وأحياناً أخرى يظهرون بصيرة فذة في إدراكهم أفكار الغير مثلاً، طفلتي البالغة خمس سنين لا تزال تعرض المواقف الفردية الصرف ففي إحدى الأمسيات وضعت رأسها تحت الماء الجاري ونادتني باهتياج وإصرار لكي أسمع أنا أيضا هذا الصوت الجديد،وقال:" أسمع صوت يا أبي" ووضعت رأسها تحت الحنفية المتدفقة في مناسبة ثانية قلت لها إنني وأمها وهي سنقوم برحلة ليلية طويلة في السيارة تستطيع خلالها أن تنام فسارعت إلى التأكيد بأنها ستكون رحلة هينة لا زحمة في الطريق خلالها لأنها حينما نامت في الليل لم تسمع أصواتا للسيارات الغادية والرائحة في الشارع،هذه الطفلة نفسها التي ظنت بأني أستطيع سماع الصوت الماء المتدفق أظهرت مقدرة فائقة واتخذت موقفاً أخر ووجهة نظر أخرى في مواقف تختلف ففي مساء أحد الأيام بين حادثة الحمام والرحلة الطويلة بدأت ألعب معها الورق قبل النوم وكنت أحثها على الإسراع، لأن اللعبة كما قلت أكثر متعة أن عجلنا فيها، وكان جوابها فوريا، قالت " لا يا سيدي الأب، أنت تطلب السرعة استعجالا لنومي، ورأيت المأزق الذي زججت نفسي فيه فمع أنها ظنت أن الزحمة تختفي متي نامت ولكنها فطنت لي ما أضمرته وإدراكت ما اتجه أليه فكري رغم أني أنكرت بشدة، ومع تضاؤل فردية الصغار بمرور الأيام يقع شئ يستدعي الانتباه فهم يدركون شيئاً فشيئا أن هناك أشياء يعرفونها ولا يعرفها آباوهم وأمهاتهم وبعضهم ينفعل كثيراً لدي

اكتشافه هذه الحقيقة ويبتهج لاشتراكه بالمعلومات الجديدة مع الغير بعد بلوغها الرابعة قالت طفلتي: "أراهن أنك لا تعرف هذه الأغنية يا أبي، أصغ سأعلمك " قبل ذلك كانت تبدأ غناء لحنها الجديد وتعجب لعزوفي عن الاشتراك معها، في الوقت نفسه يبدأ الفكر يخالج الصغار بأنهم أكثر معرفة من والديهم مثلاً، ما أن بدأت طفلتي تعقد أربطة حذاءيها حتى قالت أنها أبرع مني في صغ قوس الرباط.

مجموعات الاختبار:

لقد بسطنا الأمثلة السابقة لكي نبين أنواع الاختبارات التي تستخدم والغرض من ذلك، والواقع أننا قلما نستخدم اختباراً واحد في وقت واحد، ولكننا نستخدم عادة مجموعة من الاختبارات لبيان تحصيل الفرد أو قدرته أو شخصيته أو للوصول إلى قرار بهذا الشأن،وهذه المجموعات من الاختبارات تساعدنا على أن ندرس الطفل دراسة كلية شاملة تتصف بالوضوح وتجنبنا إصدار أحكام ناقصة لم تستكمل دراسة كل جوانبها

خصائص الاختبارات الجيدة

قد نجد عند تطبيق اختبار الميول المختلفة عند الأولاد أن بعض الميول المختارة غير مقنعة بشكل تام ومثال ذلك أن يطبق هذا الاختبار

على أحد الأولاد فنجده يميل إلى الزراعة، فيشك الأب في هذه النتيجة نظرا إلى أن أحد من أسرة فريد لم يشتغل بالزراعة أو أهتم حتى بتربية أزهار الزينة في منزله وهذا ما يضعنا أمام مشكلة وهي ما الذي يجعلنا نتأكد من أن الأسئلة التي يتضمنها هذا الاختبار تساعد على اكتشاف ميول الطفل أو استعداداته أو أنها تحدد شخصيته وتشير إلى المشكلات الخاصة به وباختصار ما الذي يجعلنا نتأكد من أن هذه الاختبارات تفي بالغرض المطلوب منها.

شروط الاختبار الجيد:

لقد وضع علماء النفس الشروط التي تساعدنا على أن نحكم على الاختبار الذي يستخدم ؛ فالاختبار الذي يستخدم للأغراض التي سبق ذكرها يجب أن يكون اختبار ثابتا،صادقا،موضوعيا، وكذلك يجب أن يكون مقننا على عدد كبير، وأن تعد له معايير ملائمة .

ثبات الاختبار:

يقصد بالاختبار الثابت ألا يقدم لنا نتائج متناقضة عند استخدامه، فإذا حصل سامي على درجة عالية في الاختبار للقدرة الميكانيكية فإننا قد نقول أن لسامي قدرة ميكانيكية عالية، إذا كنا نأخذ بالاختبار كما يبدو لنا، لأننا نجهل كل شئ عن هذا الاختبار،ولكن إذا افترضنا أن

نفس هذا الاختبار طبق على نفس التلميذ في اليوم التالي وأنه حصل فيه على درجة منخفضة ثم حصل على درجة متوسطة في اليوم الثالث، فإننا لا نستطيع أن نسلم بأن قدرة سامي تتغير كل هذا التغير من يوم لآخر، ولكننا نقرر أن الاختبار ليس ثابتاً، لأنه لو كان كذلك لكانت درجاته واحدة تقريباً إذا ما أجريناه على نفس الشخص، ومن الطبيعي ألا نتوقع من سامي،أو من أي شخص آخر أن يحصل على نفس الدرجة في كل مرة يطبق فيها الاختبار عليه فالمقاييس النفسية تتضمن دائماً نوعاً من عدم الثبات للأسباب الآتية:

- الظروف الجسمية والانفعالية للشخص الذي يجرى عليه الاختبار،فالمرض،والتعب،والدوافع والتوتر الانفعالي قد تؤثر على أداء الفرد في الاختبار،وهي عوامل لا نستطيع أن نسيطر عليها دائما.

- الظروف التي تحيط بإجراء الاختبار،فالإضاءة والتهوية وانقصاف سن القلم والضوضاء تختلف من وقت لآخر، وهذا يؤدي إلى تغير في الدرجات التي يحصل عليها الفرد.

- الدرجة،ومن المحتمل أيضا أن يستفيد الفرد _ عند إعادة إجراء الاختبار عليه _ من خبرته التي اكتسبها حتى ولو كانت

الأسئلة مختلفة،فهو يتـذكر في المـرة الثانيـة بعـض التعليمـات وطريقة الإجابة، وهذا يساعده على الحصول على درجة إعلى في هذه المرة.

- العوامـل الـتي ترجـع إلى المصـادفة، وقـد يسـبب الـتخمين في الإجابات أو إساءة فهم التعليمات اختلافات في درجات كل مـرة يجـري فيهـا الاختبار،وقـد تـؤثر العلامـات الـتي يضـعها المختبر بالمصادفة على ورقة الإجابة في ورقة الاختبار.

- الاختلافات الثقافية،والاختلافات بين أفراد في الخبرة وهي التي ترجع إلى الاختلاف في البيئة المحلية،أو في البيئـة الثقافيـة الـتي أتى منها الفـرد _ قـد تـؤثر في درجـات الاختبـار إلى حـد مـا وبخاصة في اختبارات الذكاء .

والأخطاء التي تنشأ نتيجـة العوامـل السـالفة هـي الـتي يطلـق عليهـا أخطاء القياس، وعلى الرغم من أن هذه الأخطاء تؤثر في ثبات الاختبار،إلا أن هذه الأخطاء تكون ضئيلة في الاختبارات الجيدة عادة .

ويكفي ما ذكرنـاه عـن ثبـات الاختبـار، ولكـن هـذا الثبـات لا يتضمن بالضرورة أن الاختبار جيد، فقد يحصـل سـامي علـى ثـلاث درجات متقاربة في القدرة الميكانيكية، في المرات الثلاث التي يطبق فيها

الاختبار عليه، ولكن يجب أن نعرف ما إذا كان الاختبار يقيس بالفعل القدرة الميكانيكية،ولكي نصل إلى هذا يجب أن نعلم شيئا عن صدق الاختبار .

صدق الاختبار:

الاختبار الصادق هو الذي يقيس ما هو موضوع لأجله وعندما يجيب سامي عن الاختبار القدرة الميكانيكية فإن درجته لا تعني شيئا، إذا كان هذا لاختبار يقيس أولا بالذات القدرة على القراءة بدلا من أن يقيس القدرة الميكانيكية،وهذا ما يحدث في بعض الأحيان نظرا لأن الاختبار يتضمن عنصر القراءة.

وإليك مثلا يوضح ما نعنيه بعبارة صدق الاختبار:

عثر أحد مديري المحلات التجارية على اختبار أسمه " اختبار لانتقاء عمال البيع " وتساءل هذا المدير عن مدي فائدة هذا الاختبار في الانتقاء ولهذا آخذ يتصفح دليل هذا الاختبار لمعرفة درجة صدقه فوجد العبارة آلاتية:" طبق هذا الاختبار على عدة آلاف من الباعة الذين قسمهم رؤساؤهم إلى مجموعتين" مجموعة الباعة الناجحين ومجموعة الباعة المخفقين،وكان متوسط درجات المجموعة الثانية عشرين درجة، أما متوسط المجموعة الأولى فكان خمس وخمسين درجة.

وقد وجد المدير عدة جداول تدل على صحة العبارات السابقة، فأدرك المدير _ دون أن ينظر في الجداول الموجودة في دليل الاختبار _ أن واضع الاختبار قد قارن بين درجات الناجين في عملهم والمخفقين، وأنه وجد فرقاً ذا دلالة بين مجموعتين، ومعنى ذلك أن الاختبار قد فرق بين الباعة الناجحين وزملائهم غير الناجحين ولهذا فهو صادق في حكمه إلى حد ما.

ولئن كان مدير المحل يعلم أنه لا يزال في حاجة إلى شواهد أخرى تدل على صدق الاختبار، وأن اختبار انتقاء عمال البيع قد يصدق في تطبيقه على جماعة وقد لا يصدق في تطبيقه على جماعة أخرى _ فإنه كان يشعر مع ذلك بأن الاختبار يستحق أن يطبق في الشركة بسبب ما له من قدرة على التفرقة بين المجموعتين الناجحة والمخفقة من العمال.

وتهتم المدارس بصدق الاختبار كما أهتم بهذا المدير، فالمدرس الذي يطبق اختبار للقدرة الحسابية يبحث أولا عن الأدلة التي تبين أن التلميذ الذي يحصل على درجة عالية في هذا الاختبار يتفوق في الحساب فيما بعد، فالاختبار الصادق إذن هو الذي يتنبأ بمن يخفق في دراسته ومن ينجح فيها.

موضوعية الاختبار:

ترتبط كلمة موضوعية بطريقة تصحيح الاختبار أكثر من ارتباطها الاختبار نفسه، ويرفق بكل اختبار طريقة التصحيح التي تشمل الإجابات الصحيحة والخاطئة، ويطلق عليها دليل تصحيح الاختبار،وهذا دليل يعطينا الإجابة الصحيحة عن كل سؤال،ومثال ذلك السؤال الآتي من أحد ا لاختبارات الموضوعية:

(ضع علامة ✓أمام الإجابة صحيحة)

معني كلمة يقلد هو: ☐

أ- يشير ☐

ب- يقدم ☑

ج- يحاكي ☐

د- يبدأ عملا جديدا

ويمكن وضع هذا السؤال بالطريقة الآتية التي يطلق عليها طريقة الصواب والخطأ، ومع ذلك يحتفظ السؤال بموضوعية تصحيحه فمثلا:

يقلد معناها يحاكي صح خطأ

✓	

وبصرف النظر عن الصورة التي يأخذها الاختبار،نجد أن طريقة التصحيح تحدد قبل تطبيق الاختبار،وأن لكل سؤال إجابة صحيحة واحدة هي التي تدون في دليل التصحيح، وإذا صحح ورقة الإجابة أكثر من مصحح واحد فإنه يعطي نفس الدرجة على الإجابة، وهذا هو ما نقصده عندما نصف الاختبار بأنه موضوعي.

المقاييس الاسقاطية :

ولكن ما هي الحال بالنسبة للاختبارات غير الموضوعية، مثل المقاييس الشخصية، هذه الاختبارات يطلق عليها الاختبارات الاسقاطية، وفي مثل هذا الاختبار يقول المختبر (سوف أعر ض عليك صورة وأريد منك أن تقص لي قصة تدور حول هذه الصورة، حدثني عما تظن أنه حدث في الصورة وعما تظن أنه سيحدث)) ومن الطبيعي أن تكون القصة الذي يذكرها الشخص في هذه الحالة مأخوذة من خبراته وبالتالي فهو يسقط بعض أفكاره ومشاعره على الصورة

فإذا فرضنا أن الصورة تتضمن مجموعة من الأولاد والبنات في حفلة، وأن سيماء الفرح والسرور تبدو على الجميع إلا بنتا واحدة تجلس بمفردها في ركن من أركان المكان، فإننا نجد أن سلمي تتصف بالخجل وبعدم الثقة في نفسها قد تذكر لنا أن الفتاة المنعزلة تشعر بالوحدة وبالتعاسة لأن الآخرين، يصدونها عن الاندماج معهم.

أما إليس _ وهي فتاة متنوعة النشاط سهلة التآلف مع الغير _ فإنها قلما تلاحظ الفتاة المنعزلة،وربما دارت القصة التي تذكرها حول الأولاد والبنات الذين يظهرون في حالة سرور وابتهاج.

ومن الطبيعي أن نحصل في مثل هذا الاختبار على عدد من القصص يساوي عدد الأشخاص الذين يطبق عليهم الاختبار، ولهذا يعتمد في تصحيح الاختبار على مهارة المختبر وقدرته، لا على دليل التصحيح الذي يعد لذلك، وتبعا لهذا يجب أن يحصل المختبر على تدريب خاص عميق في استخدام الاختبارات الاسقاطية إذا ما أراد أن يطبقها.

والموضوعية في تصحيح الاختبار مطلوبة في الأغراض المدرسية وخاصة عند اختبار عدة أشخاص في وقت واحد.

التقنين والمعايير:

ماذا يقصد بالاختبار المقنن ؟ يمكن أن نجيب باختصار عن هذا السؤال بأن الاختبار المقنن هو الذي يحدد له طريقة خاصة في أجرائه وفي تصحيحه، كما توجد له معايير خاصة، ولكي تكون نتائج الاختبار ذات معنى يجب أن تكون الظروف التي يطبق فيها الاختبار واحدة بالنسبة لجميع الأشخاص فمثلا:

- يجب أن يكون زمن الإجابة على الاختبار واحداً بالنسبة لجميع الأفراد الذين يطبق عليهم.

  يجب أن تكون التعليمات التي تعطى عند تطبيق الاختبار واحدة لجميع.

- وأن تقارن الدرجة التي يحصل عليها أي فرد من الأفراد بالدرجات والمعايير التي تحصل عليها مجموعة كبيرة من الأفراد الذين يماثلونه في السن والمستوى الدراسي.

أما إذا اختلفت ظروف الاختبار فإننا نصبح في شك مما إذا كانت الدرجات تعبر عن هذه الاختلافات أكثر مما تعبر عن الفروق الموجودة بين الأفراد الذين يطبق عليهم هذا الاختبار، وكذلك إذا كل مختبر يتبع

طريقة معينة في التصحيح فإن الدرجات قد تعبر عن الفروق الناتجة عن الطرق المختلفة التي أتبعت في تصحيح الاختبار، ومن المستحيل أن نناقش الاختبارات المقننة دون أن نتعرض لفكرة المعايير، والمقصود بها في مجال الاختبارات هو المستويات التي يحكم بها على درجة سير فرد من الأفراد في اختبار من الاختبارات سواء أكان سيره متوسطا أو فوق المتوسط أم دون المتوسط

المعايير المئوية:

سبق أن أشرنا إلى الاختبارات السيكولوجية على أنها أداة للقياس، والواقع أن المعايير هي التي تجعل لهذه الأداة قيمة،فهي تمدنا بالمستويات التي نستخدمها لمقارنة درجات تلميذ بدرجات عدد آخر من التلاميذ في اختبار واحد. وبهذا نحول بين تطبيق هذه المستويات الواقعية وبين تطبيق مستويات غير واقعية على التلاميذ، والمثال الآتي يبين لنا كيف يحدث ذلك:

الشكل الأول (جدول للمعايير المئوية)

المعايير المئوية	للدرجات الأصلية
99	53
95	51
90	46
85	42
80	40
75	38
70	37
65	34
60	30

إذا نظرنا إلى هذا الجدول فأننا نستطيع أن نحدد مركز التلميذ الذي يحصل على 53 درجة وكذلك نستطيع أن نقول إن الشخص المتوسط يحصل على 26 درجة، وإذا حصل على بدر على 17 درجة فأننا نستطيع أن نقول إنه لم يحصل على درجة جيدة بالنسبة لزملائه لأن 69 في المائة منهم حصلوا على درجات أعلى من درجاته.

المعايير المئوية	للدرجات الأصلية		
55	27		
50	26	الدرجـــــة الوسطى	
45	23		
40	20		
35	18		
30	17	الدرجة التي	
25	14	حصل عليهـا بدر	
20	13		
15	11		

المعايير المئوية	للدرجات الأصلية		
10	8		
5	6		
1	2		

وأما إذا طبق هذا الاختبار يتكون من 55 مسألة حسابية على تلميذ وأجاب هذا التلميذ عن40 مسألة إجابة صحيحة فإنه يحصل على 50 درجة،هذه الدرجة تعتبر أصلية،وهي لا تبين لنا قدرة التلميذ على حل مسائل حسابية، ولا نستطيع منها أن نقارن بينه وبين زملائه حتى ولو انطبقت معظم شروط الاختبار الجيد على هذا الاختبار،ولكن إذا قلنا أن الدرجة 40 التي حصل عليها التلميذ أعلى من 80 في المائة من الدرجات التي حصل عليها جميع التلاميذ فإننا نعلم من ذلك الشيء الكثير عن هذه الدرجة، وإذا ما استخدمنا هذه المقاييس المئوية فإننا نستطيع أن نحدد مركز التلميذ بالنسبة لزملائه، ونستطيع أن نقول أن الترتيب المئوي لهذا التلميذ هو 80.

والشكل الأول يمثل جدولا من جداول المعايير المئوية.

معايير السن أو العمر:

ومن أكثر المعايير الأخرى شيوعا معايير السن أو العمر: ففي اختبار الذكاء قد يجيب طفل عمره عشر سنين _ ولنطلق عليه أسم (جمال) على 75 سؤال إجابة صحيحة ويحصل على 75 درجة، ولما كانت هذه الدرجة هي متوسط الدرجات التي حصل عليها عدة آلاف من الأطفال الذين في سن الحادية عشرة فإن العمر العقلي لجمال يعتبر إحدى عشرة سنة، ولكن طفلا آخر عمره عشر سنوات، وليكن "لطفي" قد يجيب على 63 سؤال إجابة صحيحة،ولما كانت الدرجة 63 هي متوسط الدرجات التي حصل عليها عدة آلاف من الأطفال في سن عشر سنوات فإننا نعتبر عمره العقلي 10 سنوات أي أنه يعادل عمره الزمني.

المعايير الدراسية:

وهذه المعايير تشبه معايير السن أو العمر، وهي في الواقع تشير إلى السنة الدراسية، فإذا كانت إجابة طفل في السنة الرابعة الدراسية تعادل متوسط إجابات عدة آلاف من أطفال السنة الخامسة بعد الدراسة في هذه السنة الدراسية استمرت خمسة أشهر فإن درجاته تعادل خمس سنوات وخمسة أشهر دراسية، وهذه هي المعايير الدراسية

تستخدم للدلالة على الدرجات التي يحصل عليها التلاميذ في اختبارات التحصيل.

ويبقي على الآباء والمدرسين أن يعتبروا هذه الدرجات أهدافا في حد ذاتها والدرجة المتوسطة تعتبر هدفا ملائما لبعض الأطفال، في حين أن بعض الأطفال المتفوقين إذا ما حصلوا على درجات متوسطة فإنما يحصلون في الواقع على درجات ضئيلة بالنسبة لما يستطيعون الحصول عليه.

ومن المهم أن ننظر إلى درجات التحصيل مع درجات القدرات وأن نسأل أنفسنا إلى حد يتفق الجهد الذي يبذله هذا التلميذ في دراسة معينة مع ما يستطيع أن يبلغه تبعاً لدراسته.

الأسئلة الجيدة :

وثمة شرط آخر يجب تحققه في الاختبار الجيد، وهو أن الأسئلة التي يتضمنها الاختبار يجب أن تكون جيدة، وقد يبدو هذا الشرط إذا ما أخذناه على ظاهره سهل التنفيذ،ولكن وضع الأسئلة قد يكون في بعض الأحيان صعبا جداً، فهناك شروط إحصائية معقدة لا بد منها ويجب أن تتوافر في أسئلة الاختبار الجيد، وهناك أيضاً بعض القواعد العملية التي لا بد من مراعاتها في هذه الأسئلة منها:

1-يجب أن يكون معني السؤال أو العبارة المستخدمة واضحا.

فمن الضروري أن تستخدم كلمات دقيقة،وعلاوة على ذلك تنظم هذه الكلمات بحيث يدرك التلميذ المقصود من السؤال تماما.

وإليك مثالاً لسؤال من أسئلة أحد اختبارات التاريخ الأمريكي:

يبلغ عدد الذين فقدوا من الأمريكان في الحرب العالمية الثانية (1941-1945):

1- 60.000

2- 390.000

3- مليونين

4- 7.5 مليون

هذا السؤال غير واضح، لأن واضع الاختبار لم يحدد ما إذا كان يشير إلى عدد الأمريكان الذين قتلوا في أثناء الحرب، أو إلى جميع الذين توفوا خلال هذه الفترة،ومن الأفضل أن يوضع السؤال بالشكل الآتي:

ما عدد الذين قتلوا من القوات المسلحة الأمريكية في أثناء الحرب العالمية الثانية (1941_1945):

1- 60.000

2- 390.000

3- مليونين

4- 7.5 مليون

فهذه الطريقة تحدد المطلوب بهذا السؤال بدقة أكثر وإذا أراد واضع الاختبار ألا يقتصر على اختبار معرفة الحقائق (وهو الأفضل) فإن في مقدوره أن يصوغ السؤال بحيث يسأل عن نسبة خسائر الحرب إلى عدد جميع الذين ماتوا في فترة الحرب،وهذا بالطبع يتطلب طريقة أخرى لوضع السؤال.

2- ينبغي ألا يكون السؤال مزدوجاً:

وإليك مثال مأخوذا من أحد الاختبارات الشخصية يبين المقصود بهذا الازدواج:

هل تحب الاجتماعات وأن تلقي خطبا فيها ؟

كيف يجيب التلميذ الذي يحب حضور الاجتماعات ولكنه لا يحب أن يلقي فيها خطبا ؟ السؤال المزدوج هو الذي يسأل عن شيئين في نفس الوقت ولا يمكن الإجابة عنه بنعم أو لا، هذا النوع من الأسئلة يحسن أن يوضع بالطريقة الآتية:

ضع علامة أمام أوجه النشاط التي تحب القيام به:

حضور الاجتماعات

إلقاء الخطب

الرقص

تنظيم الحفلات

3- يجب ألا يتضمن الاختبار إشارة إلى الإجابة الصحيحة.

وقد تكون هذه الإشارة ناشئة عن طول الإجابة الصحيحة وما تحتويه من تفصيلات،ومثال ذلك السؤال الآتي:

الغرض الأساسي من اختبار بقع الحبر هو:

أ- قياس الإدراك الحسي

ب- قياس الذكاء

ج _ قياس شخصية الفرد بالكشف عن مشاعره واتجاهاته الحقيقية

د- قياس الموهبة الفنية.

وهذه الإشارة إلى الإجابة الصحيحة التي تتضح في الإجابة (ج) يمكن حذفها إذا قلنا ((قياس الشخصية))

وبعض الكلمات تعتبر إشارات إلى الإجابة الصحيحة مثل: دائماً، وابدا، وجميع، ولا أحد وهذه الإشارات تظهر عادة في أسئلة الصواب والخطأ،مثل:

جميع الأطفال الأقوياء يبدأون في المشي قبل أن يبلغ عمرهم أربعة عشر شهراً نعم – لا

في هذا السؤال نجد أن الإشارة هي كلمة جميع، لأن الطالب _ حتى دون أن يعرف الإجابة الصحيحة، يعلم أن جميع الأطفال ليسوا متشابهين في هذه الناحية.

4- يجب عدم استخدام الكلمات التي لها معان تختلف من شخص لآخر.

ينسى واضعوا الاختبارات أن للكلمات معاني مختلفة من شخص لآخر، فالعبارات الواردة في هذه الأمثلة:

1- هل تكثر من التدخين ؟نعم – لا

2- هل تصاب بالبرد كثيرا ؟ نعم _لا

4- هل تكثر من التردد على دور السينما ؟نعم –لا

تعني أشياء مختلفة عند الأشخاص المختلفين، فبعض الأشخاص يرون أن الإصابة بالبرد ثلاث مرات في السنة تعتبر إصابة متكررة في حين أن البعض الآخر يعتقد أن الإصابة المتكررة هي الإصابة مرة كل شهر، وكذلك لا يعتقد البعض أن التردد على دور السينما يعتبر إكثار إلا إذا ذهبوا أكثر من مرة في الأسبوع، في حين أن البعض الآخر يعتقد أن الذهاب إلى السينما مرة في الأسبوع يعتبر إكثاراً في التردد عليها، وكذلك من الذي يحدد متى يصبح الإنسان كثير التدخين ؟ ومن الممكن أن تتلافى هذه الكلمات إذا وضعنا الأسئلة في الصورة الآتية:

1- هل تدخن أكثر من عشرين سيجارة يوميا. نعم -لا

2- هل تصاب بالبرد على الأقل ثلاث أو أربع مرات في كل شتاء ؟ نعم -لا

3- خلال شهرين السابقين كم مرة ذهبت إلى السينما ؟

(ضع علامة أمام الإجابة)

أ- أقل من ثلاث مرات

ب- بين ثلاث مرات وست مرات

ج_ سبع مرات أو أكثر

من الذي يطبق الاختبارات ؟

تحدثنا حتى الآن عن الاختبارات الجيدة، ولكننا لم نتعرض لمن يطبق هذه الاختبارات،وليس يكفي أن يكو لدينا اختار جديد، فإن الاختبار إذا لم يطبق كما ينبغي أو إذا فسرت نتائجه تفسيرا غير صحيح، أصبح عديم الفائدة.

إذا أردت الكشف على عينيك فإنك تلجأ إلى طبيب مختص، وشرطة المرور هي التي تطبق اختبارات القيادة، وعلماء النفس

المختصون بالمهن هم الذين يجرون اختبارات المقابلة الشخصية على طالبي التوظف، والسيكلوجيون، وأطباء الأمراض العقلية يستخدمون الاختبارات النفسية لتشخيص الأمراض قبل علاجها، ويقوم الأخصائيون بتحليل مطالب المستهلكين باختيار ما يفضله هؤلاء المستهلكون من البضائع الموجودة في السوق، وكذلك يستخدم السيكوجيون المهنيون،والسيكلوجيون والمدرسون، الاختبارات المختلفة في عملهم اليومي.

وتتوقف مسألة اختيار من يقوم بتطبيق الاختبارات على الغرض من استخدمها،ولنحدد الآن موضوعنا في المؤهلات اللازمة لمن يجري الاختبارات في المدارس المختلفة:

الاختبارات الجمعية

من الممكن أن يجري الاختبارات الجمعية – وهي الاختبارات التي تعطى لأكثر من شخص واحد – المدرسون المدربون على إعطاء الاختبارات،أو الموجهون المدرسيون أو السيكلوجيون أو أي مختبر آخر يكون على علم بما يأتي:

- أن يدرك الغرض من برنامج الاختبار وطريقة استخدام نتائجه.

- أن يكون في استطاعته معرفة العوامل التي تجعل اختارا ما غير صادق بالنسبة لفرد، أو ما يعطل أجراء الاختبار،أو عجز مجموعة من المختبرين عن فهم التعليمات.

- أن يدرك قيمة الاختبار إذا ما قراه وقرا الدليل الذي يصفه.

- أن يستطيع تشجيع التلاميذ على بذل كل ما في وسعهم دون الخروج على القواعد الموضوعية بشأن أجراء الاختبار

الاختبارات الفردية :

أما الاختبارات الفردية للذكاء فيجب أن يجريها سيكولوجي أو موجه مدرب على إجرائها تدريبا إكلينيكيا،وهذه الاختبارات الفردية تطبق عادياً شفوياً وعلى شخص.

واحد كما هو واضح من اسمها، وتكون إجابات التلاميذ شفوية أيضاً ويقوم المختبر بتقديرها، ولكي يكون هذا التقدير صحيحاً، ولكي يبني المختبر توصياته على هذه التقديرات، يجب أن يكون المختبر على درجة كبيرة من الكفاية.ولذلك ينبغي أن يدرب عدة سنوات تدريباً خاصاً حتى يستطيع أن يقوم بعمله بطريقة صحيحة.

مديرو برامج الاختبارات

تلجأ مدارس كثيرة إلى مديري التوجيه، أو السيكلوجيين التربويين،أو الأكلينيكيين، أو غيرهم من الذين حصلوا على تدريب خاص للقيام بوضع برامج الاختبارات وتطبيقها، هؤلاء المختصون يعملون بالاتفاق مع الإدارة المدرسية أو المدرسين، وفي معظم الأحيان مع الآباء لتحديد أهداف البرامج وتنسيق أنواع الاختبارات المختلفة لإجراء البحوث التي تكشف عن امثل الطرق الجديدة لاستخدام نتائج الاختبارات.

وتختلف المؤهلات اللازمة لمديري برامج الاختبارات من مدرسة لأخرى،ومع ذلك فإن مدير برامج الاختبارات ينبغي أن يكون في درجة تدريبية كالأخصائيين في إجراء الاختبارات الفردية، وبالإضافة إلى هذا ينبغي أن يصل إلى درجة عالية من المهارة في إحدى النواحي المتصلة بالاختبارات، مثل الإحصاء والبحوث، أو وضع المناهج والتدريس العلاجي،أو إحدى النواحي التي لها قيمة للمدرسة.

الشروط العامة لبرامج الاختبارات

للحصول على برنامج جيد للاختبارات يجب أن يستوفي الاختبار والمختبر الذي يجريه شروطاً معينة ثابتة ومع توافر هذه الشروط نجد

المدرسين يطبقون الاختبارات لأن نتائجها ينبغي أن ترصد في بطاقات التلاميذ، أو لأن السلطات التربوية تطلب منهم ذلك، وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد، فإننا نجد أمامنا برنامجاً مشوشاً لا ميزة فيه سوى التضخم.

ولكي يكون برنامج الاختبارات مفيداً يجب أن يدرك كل من يطبق الاختبارات فائدة كل منها للمدرسة والتلاميذ وأولياء الأمور، والواقع أنه لا خير في أي اختبار مهما كان إلا إذا كان وسيلة لهدف قد يكون تقوية لنقط الضعف، أو استفادة من نواحي القوة، أو تعريفاً للتلميذ بحقيقية قدراته أو عوناً له على اختيار نوع من الدراسة، أو مهنة من المهن بحكمة وسداد.

نظرة فردية إلى الدنيا

نزعة عصام وسليم إلى ترجمة الأحداث والمعلومات بعبارات يفضلونها ويعتقدون بصدقها هي صفة تفكير الأطفال الصغار على وجه العموم وليس للفردية معنى الزجسية، والتركيز على الذاتية واللامبالاة بمن حوله، بل إن الفردية معناها هي صعوبة رؤية الأشياء من الزاوية المنظورية لغيره. هو يفترض أن معرفته الأشياء والأحداث يشاركه بها الآخرون وهذه الفردية تنعكس صورتها في إدراكه، وكلامه، وعواطفه، وتصرفه الاجتماعي.

وتقل النزعة الفردية مع تقدم الطفل في السن بل إن الطفل متى بلغ السنة الثانية من العمر يكون فقد الكثير من فرديته الكاملة التي ولدت معه، ففي فترة الطفولة نتعلم التمييز بين الذات وكل شيء آخر. والأطفال قبل إكمالهم الشهور الستة يعتقدون أن الأشياء موجودة إن هم عبثوا بها أو تعاملوا معها (ربما في ذلك النظر إليها). حتى الأم والأب يكونان موجودين حينما يتفاعلان معه والدنيا تصاغ وفق حركاته و أعماله والأشياء غير حقيقية إلا إذا رآها مباشرة، ونترعرع وتقل نظرتنا الفردية ولكن مهما بلغنا من العمر لا تفارقنا الفردية فراقاً كاملاً. ونستمر نُلقي إلى الدنيا نظرة من زاوية فردية ونعتقد أن غيرنا يشاركوننا بالضرورة في نواح معينة من نظرتنا ورأينا وطالما ذكرني تلامذتي بفرديتي المتخلفة أو بفضالة فرديتي، وأنا أخوض في موضوع آلفة وارتاح إليه إلى درجة جعلتني افترض أن الجميع يشاركونني المعرفة ذاتها. وهذا ينطبق على طفلة روت لأبويها ما فعله حسان في روضة الأطفال ولم تقل لهم من هو حسان ففي يقينها أن الجميع يعرفون حسان ومنهم أبوها و أمها.

والمحادثة الهاتفية طلية مع طفل في الرابعة ولكن غياب المعلومات البصرية التي تتوفر متى جرت المحادثة وجهاً لوجه، تغفل المعلومات الهامة مثلاً، الصوت في الطرف الثاني من خط الهاتف يسأل: ماذا

تريدين اليوم يا سميرة ؟ وكجواب تقول سميرة:"هذا" وهي تنظر وتشير إلى ثوبها، أحمد، ابن أستاذ في الرياضيات يسأل رفيقاً عمه سبع سنين :"وماذا يعلم أبوك" مفترضاً أن كل أب يعلم شيئاً. أحمد يسأل ذلك مع أنه يعلم بوجود أعمال وأشغال متنوعة. بل أنه نفسه قرر أن يكون إطفائياً ورغم ذلك فالآباء يعلمون.

وسائل أخرى تستخدم بالإضافة إلى الاختبار

ملاحظة الطفل للوقت وقدرته على الصبر

إن المنظر النظير البهيج بيت يمرح في جنباته أطفال صغار وكبار سطع نورهم وزهت وسامتهم وتألقت غرتهم في ما للفرق متى خلت الدار منهم، فنورها يخمد وبهائها يهمد ونظرتها تقبح وبشاشتها تتنكر، ويتوقف الزمان وتواجهين الواقع فوقتك لم يعد لك في بهيم الليل ساعة تنعم العينان بالنوم لا يعرف الطفل شيئاً عما يعنيه النوم لأمه وأبيه، وفي النهار ساعته الوحيدة هي الجوع ويكون هذا للأبوين جرس الإنذار.. عجلاً..عجلاً.. فساعة العمل وشيكة وتعسر المهمة.. ويتبعها شعور بصعوبة العبور من طور إلى طور.

تواردت الخواطر على ذهني وأنا انظر إلى طفلي يأكل عندما كان ماهر في شهره الحادي عشر وأنا على موعد مع صديقة تستولي عليّ

الحيرة، ما العمل ماهر يأكل ببطء.. يتوقف ويتلفت.. وينظر إلى ما يخرج من فمه بعين متأملة وفكر متتبع يستكشف ويتعلم ما أعلن الراديو من موعد الأنباء أدركت أني تأخرت عن صديقتي ستفهم سبب التأخر، فعندها طفل ولكن حاولي تأخير القطار عن موعده لأن ولدك يجري الاختبار على الأكل، الدنيا الحقيقية فعلاً لا تتحرك على هذا الشكل على أن لهذه العوائق حلولاً، الطفل منشغل بالاستكشاف والتنقيب وأنا مشغولة بإطعامه وتغيير ثيابه عن واجباتي الشخصية. لنفهم إذن نظرة الطفل إلى الوقت لنغير من هيكلية وقتنا بشكل مناسب لنغيره كي يلائم حياتنا كأم وأب فإن استطعنا طابت الحياة وكثرت المتعة، وارتفع عن صدرنا كابوس ثقيل يضغط ويعتصر ليل نهار، وإليك بعض الاقتراحات:

لا تنسي أن الطفل ينظر إلى الوقت بمنظار يختلف عن منظارك

إن تدريب الطفلة على استعمال كرسي الحمام يكاد يقودني إلى الجنون.. ابنتها في شهرها الواحد والعشرين في كل صباح قبل لعبة المدرسة التي نمارسها معاً تقعد النونية نصف ساعة وتقرأ فهل هي تقرأ حقاً كلا أنا أقرأ، أنا أجلس على خشبة المرحاض وأقرأ وهي تمسك بكتاب الرسوم الهزلية وتقرأ ولحسن الحظ أنها في شهر الحمل التاسع وتقضي الوقت الكثير في الحمام وهذا لا يغير الحال فهي تستعجل

طفلتها وتتسائل إن كان هناك طريقة أكثر تأثيراً من الكلام، وينبه خبير في تربية الأطفال الأبوين بأنه من المهم لهما أن يدركا أن كلام الاستحثاث والاستعجال -كأسرع أو لا تتأخر.. لا معنى له عند الطفل فإحساس الطفل بالوقت يختلف كثيراً عن إحساس البالغ والطفل الصغير بخاصة ينظر إلى الحياة من خلال احتياجاته الحالية بينما البالغ ينظر إليها من خلال احتياجه في وقت قريب أو بعيد وأن نصف ساعة من الوقت الحالي لا يعني لهذا الطفل شيئاً. وحتى حين يبلغ السابعة من عمره محدود التقدير للوقت وقد يدور حوار بينك وبين طفل في السابعة شبيه بالحوار التالي:

كم عمرك ؟

سبع سنين

وهل عندك صديق أكبر منك عمراً ؟

نعم، هذا الجالس قريباً مني عمره ثماني سنوات.

حسن جداً. من منكما ولد قبل الآخر؟

لا أدري متى يكون عيد ميلاده.

فكر جيداً. قلت لي عمرك سبع سنين، وأن عمره ثماني سنين، فمن ولد قبل الآخر؟

اسألي أمه. لا أعرف!

ويقول خبير ثان أننا نلاحظ في الطفل واقعاً لا يقاوم إلى تكرير مظهر البهجة حتى الغثيان، والتهالك فالطفولة زمن اختبار أطول الوقت ودوامة، وكذلك اختبار الفضاء وأبعاده.

كيف تستعجلين طفلك

أحياناً تكونين على عجلة من أمرك فتضطري إلى استحثاث الطفل ولكن بطريقة يفهمها ويقتنع بها، ولا جدوى من الغضب وإظهار السخط فالغضب والسخط لا يجعلانه يسرع في الاستعداد كما أنهما لا يوضحان له ما تريدين أن يفعل، فمتى كنت في عجلة بالغة فخير ما تفعلينه هو التشديد على أهمية الوقت...

فالطفل يتجاوب بشكل أفضل عندما يرى العلاقة بين الوقت والأعمال التي تعود تأديتها: وقت الحمام، وقت الحكاية، ووقت النوم لكل شيء وقته هذا يفهمه الطفل ويستجيب له. وكذلك عندما يناهز السنتين والنصف من العمر أو السنين الثلاث، يبدأ في اكتساب شعور عاطفي تستطيعين بطرق شتى أن تهذبيه وتصقليه ولا يلبث أن يعرف ما

يزعج أمه أو يغضب أباه فبدلاً من أن تقولي له: "هيا، أسرع، وإلا تأخرنا عن موعد طبيب أمك" قولي: "الطبيب يريد أن يراني وسيغضب إذا لم أصل في الوقت المعين وأنا انزعج كذلك متى تأخرت".

هذا كلام فيه حث يفهمه الطفل ويستوعبه ويزيد إدراكه لاحتياجات سواه، وكذلك يجعله أكثر تعاوناً معك أثيري فكرة التعاون فيستجيب لك ويسعى إلى تلبية طلبك.

امنحيه وقتاً يضيّعه ويتوانى فيه

نعرف من التجارب التي نمر بها أن تدبير الوقت وتنظيمه عمل يخفف من الضغوط الحياتية فإن استطعت تعيين وقت لكل عمل أنقذت نفسك من الشعور بالذنب الذي يكمن في أعماق معدتك والغلطة الكبيرة التي يقع الكثيرون في حبائلها وهم يحاولون تنظيم الوقت، هي انهم يفعلون ذلك على نحو غير واقعي أو عقلاني فإذا اشتملت لائحة نشاطك الصباحي على ثلاثة واجبات مثلاً، وعندك طفل عمره سنة ونصف، فالأرجح أن تعجزي عن أداء هذه المطاليب الثلاثة. فكيف يتسنى لأم طفل السيطرة على وقتها بجود هذا الطفل الذي بدأ يقف ويمشي أول خطوة هي تقبل الأمر الواقع بان "التواني" ليس إضاعة وقت طفلك وقد تكونين مضطرة إلى اخذ سيارتك من مكانها لكن الطفل

يرغـب في الوقـوف طـويلاً لينظـر إلى عامـل البنـاء وآلـة التثقيـب الـتي يستعملها، ولن يتحقق لك تنفيـذ عمـل وإتمامـه إلا إذا منحـت طفلـك الوقت الكافي الـذي يقضـيه في الاكتشـاف والاطـلاع هـذا، إن اسـتثنينا أوقات الطعام وتغيير الحفاظ. وتقول أم لطفلين الكـبير منهمـا في الثالثـة والصغيرة بلغت سنة ونصف السنة: "إني متى كنت في عجلة لقضاء أمر أو للوصول إلى مكـان في سـاعة معينـة، أذكـر نفسـي أن مـا يريـدان أن يتعلماه، لا يقل أهمية عما أظن أن عليهما أن يتعلمـا، فمحاولـة طفلـتي انتعال حذائيها له من الأهمية مثلما للـذهاب إلى المدرسـة مـن أهميـة.. وأنا أحاول دائماً تخصيص وقت أقضيه معهما".

أما الأم العاملة التي بكل صعوبة تستطيع إطعام طفلها وتغيير ثيابه بعد الأمور التي تسبق هذا من تنظيف وغسل فلا يمكن أن تعمل بعفويـة وأين تكون العفوية والخطوات هي هي في كل صباح؟ غير أن التخطـيط الباكر يخفف الكثير من الضغوط والضرب مثلاً على ذلك المـرأة النبيلـة محررة في مجلة ولها طفل في الخامسة من عمره تحدد موعـد النهـوض مـن النوم نصف ساعة قبل أن يحين الوقت الضروري، كي تلعب مع طفلـها قبل أخذه إلى المدرسة وهذا التواصل الحميم لـه معنى كـبير ولـه تـأثير عظيم في علاقاتهما، ولا أشير عليك بالطبع أن تـبني يومـك كلـه حـول نزوات طفلك ومطالبه فصبرك، ونياتك الحسنة، تجعلك تضـحين بوقـت

إضافي لولدك وأحياناً تجدين نفسك مرغمة على التعجيل في أخذه ضاربة عرض الحائط باعترافاته واحتجاجاته. على كل حال، الدنيا تلقي على عاتقك أعباء لتختاري منها الأهم فتبدئي به أنت مسؤولة عن فلذة كبدك ومسؤولة أيضاً عن نفسك وما يصلح لها، وما يبقى على نشاطك ونظرتك المتفائلة إلى الحياة.

أنت تقررين ما هو مبدد للوقت وما هو ليس مبدداً

حين بلغ طفلي الشهر التاسع من عمره استأثرت مفاتيح الكهرباء باهتمامه كان يجب أن أرفعه ليصل إلى مفتاح الكهرباء باهتمامه كان يجب أن أرفعه ليصل إلى مفتاح الكهرباء في غرفة نومنا والذي كان يتحكم بإضاءته حبل فيشد حبل الإشعال والإطفاء وفي أحد الأيام قرر زوجي أن يحمله وقتاً طويلاً ليرى كم مرة يشد الحبل، أتصدقين إن قلت لك أنه شده 143 مرة ؟

وهذه لمعظم الناس (بخاصة لمن ليس عنده أولاد) هدر للوقت لا معنى له إطلاقاً، وامتحاناً للصبر يتجاوز الطاقة نسي زوجي يومها كل شيء عن عمله ووقف يمتع طرفه بحركة ابنه الصغير. ويقول عالم اجتماعي إن الأبوين اللذين يتعلمان أموراً من هذا القبيل، يسعدان في حياتهما مع أولادهما، و تكون المتعة المشتركة عارمة أما الشخص

المبرمج، المتمسك بعقارب الساعة فمن أشق الأمور عليه العيش مع شخص آخر تعود مغط الوقت والإغضاء من مروره ... بل هو يزداد غلواً في تطبيق قانون الساعة وعقاربها، ولكن في وسعنا إلى مدى بعيد التحكم بشعورنا نحو الوقت نشعر بالأشياء متى كنا متوجهين في سيارتنا إلى مكان ما وقد تأخرنا. نغضب لأننا لم نصل بعد ونقيض هذا الغضب مزحة مراهق يستحوذ عليه السرور متى قاد السيارة، يقودها بلا غاية أو هدف إلا المتعة التي يعتصرها من هذه التجربة التي تشوق إليها و أود أن أرى أشخاصاً يتورطون في ما يسمى الأبوة والأمومة أود أن أرى تفاعلهم وتجاوبهم وان أرى صبرهم وحلمهم إن أرى انعتاقهم من الساعة الآسرة التي تأمر وتنهي.

"تذكري أن شعورك عن كيفية إنفاق الوقت قد يكون انعكاساً لما يعتبره الخبراء عقدة الأداء والإنجاز التي تقضي على روعة الحياة وتطمس معانيها".

كنت أشعر بالهم والحزن كلما صحبت ولدي إلى حديقة الحيوان

وتقول السيدة أم ولدين في السادسة والرابعة من عمرهما، كانت تصحبهما ليريا أنواع الحيوان وما كانا ليباليا إلا بأكل العشاء،. وأيقنت أخيراً أن خروجهما معي كان نوعاً من التوسع في العلم والإدراك فضلاً

عن المتعة التي شعرا بها وهما يتجولان ويشاهدان كاسرة متفقة متحدة. ونحن الكبار إن لم نفعل شيئاً بناء..نشعر بقلة الكفاية ونجعل أولادنا يرزحون تحت الهموم النفسية الضاغطة. ولكننا نمنح معظم وقتنا لأمور نأمل في تحقيقها في المستقبل، مما يسلب نشاطنا في الحاضر. في ساعة إثر ساعة -يوم إثر يوم- محاولات لا ترضينا - إننا مقيدون بالساعة نرى الوقت يمر دون أن ننتهي من عمل نقرأ لنستفيد نجتمع لنبقى على العلاقة نأكل مع الغير لنبرم اتفاقاً نمارس الرياضة ليجتمع الشمل نسوق السيارة لنطوي الأميال نقامر لأعمال الخير، نسهر في الخارج لنضاعف من البلدية أو المحافظة وتلازم البيت في نهاية الأسبوع لإعادة بناء البيت أما الطفل، فالنهار لا يعني أكثر من تذوق جوز الهند لأول مرة وأكثر من التهليل والرقص على أنغام الموسيقى وعوضاً عن شعورنا بالذنب لأننا لا نؤدي عملاً له أهمية، يجب أن نشترك مع سوانا في الوقت، فهذه فرصة تسنح دائماً لعجم عود مختلف نواحي الحياة التي كثيراً، لا نراها أو نحس بها - إلا إذا خصصنا لها وقتاً.

ملاحظة الطفل

ومن الوسائل التي تعطينا معلومات عن الطفل ملاحظته لفترة من الزمن، وكثيراً ما نصدر على الآخرين أحكاماً مبنية على مجرد

ملاحظتهم، وغالباً ما تكون هذه الحكام صادقة، وعلينا الآن أن نبين كيفية تطبيق طرق الملاحظة في المدارس.

تلعب الملاحظة دوراً هاماً في عمل الأخصائي في المطالعة. فعندما يجد المدرس المختص بعلاج الضعف في المطالعة تلميذاً يقرأ ببطء فإن أول ما يقوم به هو ملاحظة الطريقة التي بها تنتقل عينا التلميذ عبر السطور عند القراءة.

اختبارات العلاقات الاجتماعية

إن القرين ينسب إلى قرينه والإنسان يحكم عليه عادة من قرنائه. هذا ما يقوله المثل القديم أما اليوم فقد اختلف هذا الحكم العام واتضح أنه غير صحيح على الدوام إلا أننا نستطيع أن نعرف هذا الشخص عن طريق سؤال أصدقائه وأقربائه عنه.

واختبارات العلاقات الاجتماعية ليست كالاختبارات التي سبق أن ذكرناها في الفصول السابقة، إنها ليست مقننة، وليست لها معايير، ومع ذلك فهي تمدنا بطريقة تصور لنا العلاقات الموجودة بين الأفراد وتساعدنا على معرفة الأطفال المنعزلين، والأطفال الذين يتبادلون الصداقة والأطفال الذين يكونون الجماعات.

وفي هذه الاختبارات يطلب من كل فرد أن يذكر اسم الشخص الذي يريد أن يصاحبه في موقف معين، وإليك مثلاً يبين كيف نطبق اختبار للعلاقات الاجتماعية يختص باختيار الأصدقاء:

اعتزم تلاميذ السنة الرابعة القيام بزيارة أحد المطارات كجزء من دراستهم لموضوع الطيران، وقد ذكر المدرس أنه سيحاول جهده حتى ينظم التلاميذ في جماعات في أثناء هذه الرحلة على أساس اختيار التلاميذ أنفسهم ثم طلب منهم ما يأتي:

اكتب اسمك وتحته اكتب اسم ثلاثة تلاميذ تود أن يكونوا زملاءك في هذه الزيارة. ضع الأرقام 3،2،1 أمام أسمائهم تبعاً لترتيب منزلتهم عندك.

وعندما نضع اختيار التلاميذ في صورة رسم يمثل العلاقات فإننا نحصل على رسم توضيحي للمعلومات الاجتماعية، وإليك رسماً توضيحياً يمثل الاختيار الأول للعشرين تلميذاً وتلميذة الذين يتكون منهم هذا الفصل.

تحليل الرسم التوضيحي للعلاقات الاجتماعية:

من هذا الرسم التوضيحي يتبين أن هناك اختياراً متبادلاً بين جلال وحامد، وكذلك بين بدر ونبيل، ويتضح كذلك أن محمداً هو مركز الجاذبية لهذه المجموعة.

أما بدر وجميل فهما يكونّان عصبة"شلة" أو جماعات منعزلة أما همام وجمال وعلي ورؤوف فهم منعزلون لم يخترهم أحد -على الأقل - في اختباره الأول.

وتكون ماري ونوال ونادية عصبة "شلة " .

قد اختارت زينب ونهى كل منهما الأخرى. أما سعاد فهي مركز الجاذبية ونجمة المجموعة اختارتها ثلاث بنات واختارت بنتاً أخرى. أما راوية وصفية وليلى ومنى فلم يكنّ موضع الاختيار الأول بالنسبة لأي فرد.

ويستخدم المدرس هذه الصورة التوضيحية للاختيار الأول، وكذلك الصورة التوضيحية الخاصة بالاختيارين الثاني والثالث في تعليم التلاميذ كيف يكونون علاقات حسنة فيما بينهم، فهو يحاول أن يساعد المنعزلين حتى يندمجوا في المجموعة، وكذلك يحاول أن يزيد من عدد أفراد كل عصبة.

المقابلة الشخصية

لا يمكن أن تتم الصورة التي كوناها عن التلميذ إلا إذا تحدثنا إليه، فما أكثر الأشياء التي يمكننا معرفتها عن الأشخاص الذين نحادثهم، ومن المؤكد أن الكثيرين منا يستطيعون أن يدركوا ما إذا كان التلميذ خجولاً أو غير خجول، وما إذا كان حاضر النكتة، كما يستطيعون أن يقفوا على بعض ميوله واهتماماته.

والمقابلة الشخصية تستخدم للوصول إلى معلومات عن الشخص الذي تقابله لتوجيهه وإرشاده، وللحصول على هذه المعلومات نحاول عادة أن نرسم خطة للمقابلة الشخصية، أو نستخدم استمارة للمقابلة الشخصية يعدها أخصائي، وهذه الاستمارات المعدة تستخدم في الصناعة أكثر مما تستخدم في المدارس، على الرغم من أن معظم المدارس لديها استمارات خاصة، يملؤها التلميذ عندما يلتحق بالمدرسة، هذه الاستمارة قد يطلق عليها استمارة طلب التحاق بالمدرسة، على الرغم من أن المعلومات المطلوبة يمكن أن تحصل عليها المدرسة في أثناء مقابلة شخصية مع ولي أمر التلميذ.

المقابلة الشخصية للتلاميذ

المقابلة الشخصية للتلاميذ تزود مدرسيهم بما يسهل عليهم فهم سلوكهم، وليس من الضروري أن تكون الأسئلة محدودة كما هي الحال في استمارة المقابلة الشخصية،ولكن من الأفضل أن يعد القائم بها خطة يتبعها في أثناء المقابلة.

وإليك خطة وضعتها مدرسة لتعرف السبب الذي من أجله تتأخر إحدى التلميذات باستمرار عن موعد الدراسة:

1- لكل مدرسة تلتحق بها التلميذة قواعد معينة يجب اتباعها.

أ. ومن القواعد التي يجب اتباعها هنا الحضور في الوقت المحدد.

ب. كيف نستطيع أن نساعدك لكي تحافظي على مواعيد الحضور؟

2- الظروف المنزلية للتلميذة.

أ- هل يشتغل والدك وأمك؟

ب- متى تستيقظين في الصباح ؟

ت- من الذي يوقظك في الصباح؟

ث- كم ساعة تنامين في اليوم ؟

ج- هل لديك عمل خاص تقومين به في الصباح؟

ح- هل تتناولين طعام الفطور مع أفراد أسرتك؟

3- كيف تحضر التلميذة إلى المدرسة ؟

أ- ما المسافة بين المنزل والمدرسة ؟

ب-كيف تحضرين إلى المدرسة ؟ على الأقدام -بالسيارة العامة - أم بغير ذلك؟

ج- كم من الوقت تحتاجين للوصول إلى المدرسة ؟

د-متى تخرجين من البيت؟

4- وضع خطة لملافاة ذلك.

ويجب على المدرسة أن يكون حديثها إلى التلميذة عادياً مألوفاً فلا تتحدث إليها بطريقة رسمية، كما يجب أن تقضي معظم الوقت في الإصغاء إلى التلميذة لا في التحدث إليها.

وليس من الضروري أن تسأل هذه الأسئلة بالترتيب الموضوع من قبل، بل أنها قد لا تحتاج أبداً إلى أن تسألها والغرض من الأسئلة في الواقع هو توجيه المدرسة، ومساعدتها على ألا تترك نقطة هامة.

الصورة الكلية للطفل أو التلميذ

ذكرنا بعض الوسائل التي تكمل بها نتائج الاختبارات لتوضيح المبدأ الأساسي الذي ينطبق على جميع الاختبارات، فالاختبارات لا يمكن الاعتماد عليها وحدها: إنها عنصر هام في الصورة التي تكونها عن الطفل أو التلميذ ولكنها لا تعطينا الصورة كاملة.

شخصية الطفل

بعض الأمهات يشعرون بالإعجاب بأنفسهن إذا استطعن تربية أطفالهن على نمط سلوكي جيد فأطفالهن ينامون في أوقات محددة ويتناولون غذائهم أيضاً في أوقات محددة ويتكيفون بسرعة مع المواقف الجديدة دون خوف أو رهبة، ولا عنف ولا صراخ إلا فيما ندر يقتربون من الأغراب وعلى وجوههم ابتسامة تجعل كل من يراهم يبادر بتهنئة أمهاتهم على عظيم ما وهبهن الله هناك البعض من لم يستطعن التعامل مع أطفالهن كثيري البكاء وشديدي الصراخ حيث يفزعون من الأغراب ولا يتكيفون مع المواقف الجديدة يقضون كثيراً من الليل مستيقظين

موقظين أمهاتهم معهم الأمر الذي يجعل أمهاتهم يشعرن بالفشل في تربيتهن لأطفالهن ويلقين باللوم على أنفسهن إلا أن الخبراء في هذا المجال يعلنون لكل أم أياً كانت أن سلوك أطفالها لا تحكمه طريقة التربية بصورة مطلقة وان هناك عوامل أخرى فطرية لها تأثير كبير على سلوك الطفل وتصرفاته ويؤكد الخبراء أن كثيراً من طباع الطفل تولد معه وليست ناتجة عن الطريقة التي تتبعها الأم في تعاملها مع طفلها أو البيئة المحيطة به وقد كان يعتقد حتى القرن الماضي أن الطفل يولد صفحة بيضاء ثم تبدأ شخصيته بعد ذلك بالتشكل تبعاً لنوع التربية والعناية التي يتلقاها وكذا البيئة التي ينشأ فيها ومدى تأثيرها عليه إلا أن خبراء تنشئة الأطفال وعلماء النفس والمحللين النفسيين اكتشفوا أن شخصية الطفل وطباعه تنشأ نتيجة لتفاعل معقد بين خصائصه الأصلية التي يولد بها وبين ما يكتسبه من البيئة التي ينشأ فيها فهناك من الأطفال من يريحون والديهم فهم يتناولون غذائهم في أوقات محددة وينامون بهدوء وبانتظام ويستطيعون التكيف مع كل موقف جديد إن مثل هؤلاء الأطفال يولدون بمزاج هادئ مما يسهل عملية تربيتهم والاعتناء بهم وهناك من الأطفال أيضاً من يولددون مزعجين بفطرتهم فلا يتكيفون مع الغرباء و لا المواقف الجديدة مما يصعب تربيتهم ويتعبون من يقوم بها وبين هؤلاء توجد مجموعة أخرى وهم الذين يجمعون بين بعض الصفات الحسنة وبعض الصفات السيئة فهم على سبيل المثال منتظمون في مواعيد

غذائهم ونومهم ويقظتهم ولكنهم يهابون الغرباء ويبكون أو يفزعون كلما أقترب منهم أحد لا يعرفونه (أو قل غير والديهم) ولا يتكيفون مع المواقف الجديدة إلا بعد مدة طويلة. ومن خلال الأبحاث استطاع الخبراء التعرف على عدة أنماط سلوكية مختلفة اعتقدوا أنها تميز الخصائص الطبيعية تلك المكتسبة وهذه الأنماط التي تشكل شخصية الطفل هي:

- مستوى نشاط الطفل:خاصة النشاط الحركي، وذلك بالنسبة لفترات النشاط وفترات الخمول.
- انتظام الوظائف الجسمية: كالجوع ودورة النوم والاستيقاظ.
- الحالة المزاجية: وتشمل فترات السعادة والغضب، الأشياء التي تلهيه.
- الانتباه.
- مدى التكيف مع الآخرين.

قام الباحثون بوضع هذه الصفات على مسطرة مدرجة بها ثلاث نقاط (عال، متوسط، منخفض) ثم تجمع البيانات من عليها لتعطي صورة شاملة لسلوك الطفل وشخصيته ثم قام الباحثون بالتعاون مع

الآباء والأمهات بمراقبة سلوك مجموعة من الأطفال في كل نواحي حياتهم.

وكذلك النتيجة أن حوالي 40٪ من الأطفال الذين اجري عليهم البحث أطفال هادئون وان 15٪ منهم كانوا يتكيفون ببطء مع المواقف الجديدة ومع الغرباء وان 10٪ قد صنفوا على انهم أطفال مشاكسون يصعب مراسهم أما البقية فهم يجمعون بين خليط من الخصائص وهؤلاء يصعب تصنيفهم. وليس مهماً كيفية أداء الطفل لنمط معين من هذه الأنماط ولكن تأديته لمجموعة منها هي التي تعطينا صورة حقيقية عن طباع الطفل وتبقى هذه الأنماط في معظم الأطفال لفترات طويلة وتأخذ أشكالاً مختلفة في كل مرحلة يعيشها الطفل وثبت من الأبحاث أيضاً أن الأطفال المشاكسين تكون وظائفهم الجسمية "من طعام وإخراج..الخ" غير منتظمة كما أنهم يشعرون بعدم الارتياح تجاه المواقف الجديدة كما أن تكيفهم مع الآخرين بطيء جداً ورغم الصعوبة التي تلاقيها الأم مع الطفل المشاكس إلا أنه يعتبر طفلاً طبيعياً تماماً أما الطفل الوديع فيكون لديه تناسق وانتظام في الوظائف الجسمية، كما أنه يتميز أيضاً بالتجاوب مع المواقف الجديدة ومع الآخرين بسرعة ويكون مزاجه غالباً إيجابياً وبين الطفل المشاكس والطفل الوديع هناك الطفل الذي يجمع بعض خصائص ذاك. فهو يتكيف مع المواقف الجديدة ولكن ببطء شديد وقد

تكون وظائفه الجسمية منتظمة أو غير منتظمة وهو إلى حد ما سلبي في تكيفه مع الآخرين.

ويقول الباحثون إن هذه الأنماط السلوكية قد تظهر في وقت مبكر من حياة الطفل وهي عادة ما تظهر عند سن ثلاثة شهور وهناك أنماط من السلوك كالتناسق الحيوي والتفاعل الاجتماعي تكون واضحة في الطفولة من خلال النوم والأكل والتبول وعادات غضبه وأشكاله ومثل هذه الصفات تبرز أكثر واكثر كلما كبر الطفل وبدأ اللعب مع أقرانه.

تعديل شخصية الطفل

مع مرور الوقت تستطيع الأم معرفة سلوك طفلها حتى وإن كانت غير عارفة بمثل تلك المصنفات فالأم عادة ما تدرك أن طفلها قد تعود على نمط سلوكي معين ولكن لا تستطيع عمل أي شيء لتعديله. وطالما أنه ما زال معتقداً أن الطفل يولد كالصفحة البيضاء فستظلي تجدين الأمهات من يمدحن أنفسهن ومن يعلمنهن وعلى ذلك فوالدا الطفل الوديع يشعر بحالة نفسية جيدة على عكس والدي الطفل المشاكس اللذين يشعران دائماً باهتزاز ثقتهما في نفسهما وقد يصل الأمر إلى حد الشعور بالفشل أو التقصير لأنهما عاجزان عن إرضاء طفلهما وينمو إحساس بالإحباط والامتعاض في نفس الأم ونفس طفلها، ويدرو

كلاهما في حلقة مفرغة ويسود جو من عدم صفاء علاقتهما مما يؤدي إلى أن تتعرض نفسيتهما معاً للخطر فالأم تشعر بالعجز وقد تهمله والطفل يشعر بأنه عبء شديد أو أنه غير كفء لتلقي الرعاية المناسبة من أمه ويبدأ في نمو بنفسية غير سليمة ربما تفقده فيما بعد قدرته على التفاعل إيجابياً مع أمه، ومن ثم يبدأ الابن مناصبة العداء لأمه وعندئذ فالاتصال الشخصي بين الأم والطفل قد يبدأ بالانهيار ويصبح عدائياً، وعندما يحدث ذلك ستشعر الأم بالذنب وقد تحاول إزالة خطأها باسترضاء الطفل وعلى ذلك فقد يتحول الطفل إلى طاغية مستبد ولمعالجة مثل هذه الأمور يجب على الأم التغاضي أولاً عن النظر إلى طبيعة طفلها السيئة من الناحية العاطفية وان تنظر إليه من الناحية الموضوعية وعلى هذا الأساس تقوم الأم بمراقبة سلوك طفلها مدة عشر أيام تحاول فيها أن تذكر كيف كان يتفاعل الطفل مع الظروف المحيطة به في طفولته المبكرة ومن ثم تستطيع الأم تكوين صورة جيدة لسلوك طفلها مما سيؤهلها لإيجاد صيغة مناسبة لتتعامل معه من خلالها، وعليها أن تعرف أنها تتعامل مع سلوك فريد من نوعه ويجب معاملته بطريقة خاصة عندئذ ستزول مشكلتها الأولى وهي الشعور بالذنب وأخيراً فمفتاح تربية الطفل المشاكس هو النظام الحازم والمعاملة الرقيقة الحنون، وهذا هو دور الأم وحدها.

ويجب عليها ألا يساورها أي نوع من أنواع القلق تجاه مستقبل طفلها حيث يقول الخبراء أنه بالرغم من المصاعب الجمة التي تواجهها الأم في تربيتها للطفل المشاكس إلا أن لديه نفس الفرصة في النجاح مستقبلاً تماماً كفرصة الطفل الوديع كما أن التغير الجذري للأطفال أمر ممكن بمرور الوقت وقد يأتي هذا التغير نتيجة لما يحيط به في البيئة من أنظمة وأحداث أو نتيجة لبواعث داخلية، أما الأطفال الوديعون فقد يصبح بينهم مستقبلاً من هو طيب هادئ ومن هو قلق وعصبي ويعتمد ذلك على نمط الحياة التي يحيونها والخاصية التي قد تبدو جذابة في الطفل في صغره قد لا تكون هكذا دائماً إلى أن يكبر فمثلاً الطفل الذي يندمج بسهولة مع الآخرين قد نكون شخصيته ضعيفة من السهل التأثير عليها من قبل رفاقه على خلاف الطفل الأقل سرعة في التكيف مع الآخرين أما الطفل المشاغب ذو الطاقة الكبيرة الذي يصرخ بصوت عال والذي يجد والده ذلك عيوباً يود أن لو يتجنبها فقد يستطيع الطفل فيما بعد استثمار هذه الطاقة ليكون رجل أعمال نشيطاً وناجحاً وعلى ضوء نتيجة هذه الأبحاث نستطيع أن نخرج بعدة حقائق مهمة.

- إن الطفل لا يولد صفحة بيضاء كما كنا نعتقد ولكن يولد حاملاً لبعض أنماط سلوكية قد تطيب لنا وقد لا تطيب.

- إن معنى تنشئة طفل صعب المراس لا يعني بالكلية أن هناك خطأ في تربيته أو تقصيراً.

- يجب على الوالدين فهم حقيقية السلوك الفطري ومحاولة التعامل مع أطفالهم على ضوئه وليعلما أن كل طفل يولد بخصائص مختلفة عن غيره منعاً للوقوع في دوامة المقارنة بين طفلك وطفل جارك.

- يجب على الوالدين محاولة علاج سلوك طفلها بكل حزم وبكل عطف وحنان في آن واحد.

- العيوب التي نراها في أطفالنا قد تتحول مستقبلاً لتصبح ميزة لهم في حياتهم حيث أن التعب أو كثرة الحركة لا تعني شيئاً أكثر من نشاط زائد وطاقة كبيرة في جسم الطفل وهذا يعتبر أوسع إيجابية وليست سلبية.

- والعكس صحيح فيما قد تراه جميلاً فيه أثناء طفولته قد يصبح عيباً نكرهه فيه مستقبلاً كالاندماج السريع وبدون حذر أو تحفظ مع الآخرين مما قد يجعله عرضة لضعف في الشخصية.

كيف تساعدنا الاختبارات على معاشرة أطفالنا

قد يختلف الأطفال فيما بينهم في نواح متعددة مثل الطول والوزن والقدرات العقلية والتحصيل الدراسي والشخصية الخاصة بكل واحد.

فكثيراً ما نجد أن الأطفال الذين في نفس السن أو في نفس الصف مثلاً رغم انهم في عمر واحد وصف واحد مثلاً يختلف مستوى استيعاب كل واحد منهم عن الآخر وإذا ما قمنا باختبار ولدين من نفس الصف مثلاً و أعطيناهم درساً لصف مستواه أعلى قد يستوعب أحدهم هذا الدرس ويفهمه أما الآخر فلا و هذا اختبار بسيط يجعلنا نميز فروق المستوى الذهني عند الأطفال.

تحديد الفروق

إننا نجمع على أن الأطفال يختلفون فيما بينهم، ومع ذلك فنحن نخفق في أن نعاملهم على هذا الأساس، وربما كان السبب في ذلك هو أننا- دون أن نشعر- نعتقد أن رأفت يجب أن يكون متقدماً في الرياضة لأن أخاه كان متقدماً فيها -أو أن "أحمد" يجب أن يهتم بالسيارات القديمة لأن معظم الأولاد يهتمون بها، أو أن "سهاماً" يجب أن تحب الموسيقى لأن أعز صديقاتها تحب الموسيقى.

وتساعدنا الاختبارات على تحديد الفروق الفردية. فتظهر لنا اوجه الخلاف بين الأطفال، ومقدار هذه الاختلافات. وإذا ما أدركنا أوجه الاختلاف هذه فإننا نستطيع باختبارات أخرى معرفة السبب في وجودها، وما إذا كان من الخير تركها وشأنها.

مقارنة التحصيل بالقدرات

إذا بحثنا مشكلة "جمال" فإن أول سؤال يتبادر إلى ذهن مدرسته عندما تراه ضعيفاً في المطالعة هو ما إذا كان من الممكن أن يتحسن في مطالعته، وبمعنى آخر: هل له من القدرة ما يمكنه أن يكون على درجة أفضل مما هو عليه في المطالعة؟

ومن أهم نواحي استفادة المدرسة من تطبيق الاختبارات استفادة عملية معرفة ما إذا كان تحصيل الطفل يتفق مع قدرته، فدرجة ذكاء الطفل تبين لنا قدرته على التعلم - وفي كثير من الأحيان نجد أن تحصيل الطفل لا يتفق مع درجة ذكائه، وأن في مقدوره أن يحصل اكثر مما يفعل الآن.

وإذا ما اكتشفنا هذا فإننا نأخذ في البحث عن الأسباب التي أدت إلى ضعف التحصيل وهي الأسباب التي لا صلة لها بالذكائه.

ونجد من الوجهة الأخرى أن قياس القدرة يعيّن لنا الأطفال الذين لا ينتظر حصولهم على درجات عليا في التحصيل المدرسي

وهذا أمر تهمنا معرفته أيضاً لنه يساعدنا على إدراك ما عساه يظهر من نواحي القصور عند الطفل، ويعيننا على تحديد أهداف ملائمة له.

تقبل نواحي العجز في الطفل

كان والدا فيليب يتمنيان أن يكون في مستقبل أيامه محامياً، أو طبيباً، أو مهندساً، أو محاسباً، وكانا يرجوان أن يلتحق بالجامعة التي تخرجا فيها وان يحصل على درجته الجامعية مع مرتبة الشرف، ولكن فيليب في أوائل حياته الدراسية، وجد صعوبة في دراسته، وكان والداه يلومان المدرسة على ذلك على الرغم من أن اختبار الذكاء أظهر أنه متوسط في ذكائه.

وفي أثناء وجود فيليب في مرحلة التعليم الإعدادية ومرحلة التعليم الثانوي، كانت درجاته في اختبارات الذكاء تحدد مركزه بين متوسطي الذكاء من زملائه، وكذلك لم يكن يحصل إلا نادراً على درجات مدرسية تزيد على المتوسط، ومن حسن حظه أن أخذ والداه بالتدريج في التحقق من أنه لن يكون في عداد طلبة الجامعات، وأن من الحكمة ألا يدفعاه دفعاً لكي يتابع دراسته في الطب أو الحقوق أو الهندسة.

وفي هذه الحالة وأمثالها يتقبل الآباء العقلاء والمدرسون ضعف الطفل في قدرته وتحصيله المدرسي، فلا يضعون له أهدافاً خيالية تسبب له شعوراً بالخيبة والفشل والحسرة.

ولكنهم يساعدونه على أن يتقبل نفسه على ما هي عليه وأن يستغل جميع قدراته إلى أقصى حد ممكن.

وفي بعض الأحيان يضع الصغير لنفسه أهدافاً خيالية، فيحاول أن يبرز على الموهوبين من تلاميذ فصله في الدراسة، أو الموسيقى، أو الفن، أو الرياضة البدنية، في حين أنه أقل قدرة في هذه النواحي ممن يعمل على منافستهم، وفي هذه الحالة يحتاج الطفل إلى التوجيه الحكيم من والديه ومدرسيه لعله يتقبل نفسه على ما هي عليه وأن يتكيف لإمكانياته تكيفاً ناجحاً.

تغيير ما يمكن تغييره في الطفل

ومع ذلك فقد نخطئ عندما نحاول أن نستسلم على الفور لنواحي ضعفنا وقصورنا، إذ أن إسراعنا إلى تقبلها قد يحول دون تغيير ما يمكن تغييره منها.

والاختبارات تساعدنا على اكتشاف نواحي الضعف التي يمكن معالجتها، وهذه النواحي قد تكون جسيمة مثل عيوب النظر أو السمع،

وقد تكون انفعاليه مثل اضطراب الشخصية، أو عدم النضج، أو انعـدام الميل، وإليك بعض الأمثلة من دراسة الحالات:

1- كان "شوقي" كثير الأخطاء في تمارين الحساب وقد أظهرت الاختبارات التشخيصية التي تبين نواحي الضعف، أنه يخطئ في عمليات الطرح بالاستلاف نظراً لعدم فهمه لها، وكذلك أظهرت الاختبارات أنه متوسط الذكاء، ولكن بعد علاج ناحية الضعف هذه استطاع شوقي أن يتلافى الوقوع في هذه الأخطاء.

2- أما رشاد فإنه لم يستطع وهو في سن الثامنة أن يقرأ، وقد ظهر من الاختبارات الطبية أنه سليم النظر والسمع، وكذلك أظهر أحد اختبارات الذكاء أنه فوق المتوسط في ذكائه، ولكن اختبارات الشخصية والمقابلة الشخصية التي قام بها الأخصائي النفسي في المدرسة أظهرت أن "رشاداً" مضطرب من الناحية الانفعالية وانه غير ناضج من الناحية الشخصية.

وقد ظهر أيضاً أن "رشاداً" كان الطفل الوحيد لوالديه وإنه كان يستحوذ على عطف أمه حتى سن السادسة عندما رزق والداه بطفلة –وفي هذا لوقت دخل "رشاد" المدرسة الابتدائية،

وتركز انتباه والدته كله تقريباً على المولود الجديد، ووجد رشاد أنه برفضه تعلم القراءة يستطيع أن يجذب انتباه والدته، إذ كانت تقضي بعض الوقت في التحدث إليه عن فشله في دراسته، ولكنه استطاع أن يتعلم القراءة بعد سنتين من علاجه على يد الأخصائي السيكولوجي الذي كان يعالجه ويعالج والدته في نفس الوقت(حتى توزع انتباهها بينه وبين أخته) وهو الآن يقترب من المستوى التحصيلي الذي يتفق مع ذكائه.

3- أما ياسمين فقد كانت في المدرسة في الفصل الخاص بالمتأخرات نظراً لأن اختبار الذكاء دل على أن قدرتها العقلية محدودة، ولكن المدرسة لاحظت أن ياسمين تبدو ذكية ذكاء خارقاً، وذكرت للأخصائي السيكولوجي في المدرسة أن ياسمين متأخرة في القراءة ولكنها تفهم التعليمات فهماً تاماً إذا ما ألقيت عليها.

وعندئذ اختبرت ياسمين باختبار فردي للذكاء لا يتطلب منها الكثير من القراءة، وقد دل هذا الاختبار الثاني على أن ياسمين إذا ما توافرت لها مساعدة خاصة لتعلم القراءة - تستطيع أن تصل في تحصيلها إلى مستوى المتوسطات أو فوق المتوسطات في قدرتهن العقلية.

تعزيز نواحي القوة في الطفل

وتعاونن‍ا الاختبارات بطريقة أخرى على تغيير ما يمكن تغييره في الطفل، فمن الواضح أن الاختبارات لا تظهر نواحي الضعف في الطفل فحسب، ولكنها تظهر أيضاً نواحي القوة، وفي بعض الأحيان نستعين بنواحي القوة لدى الطفل لكي نغير من نواحي ضعفه.

ومثال ذلك لطفي الذي كان يحصل في الرياضة على درجات ضعيفة بحيث يخشى عليه من الرسوب، واعتقد المدرس الذي يدرس الرياضة أن لديه من القدرة ما يمكنه من النجاح في هذه المادة، لأنه حصل على درجات تؤهله لذلك في اختبار الذكاء، ولأنه حصل على درجات عالية في المواد الأخرى، وقام المدرس قبل أن يوجه إلى لطفي عناية خاصة في الرياضة، برصد المواد التي حصل فيها على درجات متوسطة أو عالية، وإليك ما كشفت عنه هذه العملية:

المادة	الدرجة	نتائج الاختبارات السيكولوجية
الأشغال	ب-	أظهر اختبار الذكاء أن لطفي فوق المتوسط في إدراكه المكاني، ويشير اختبار الميول إلى أن لديه ميلاً عالياً في النواحي الميكانيكية

		والموسيقية. وميلاً قليلاً للعمليات الحسابية (مثل القسمة، والضرب..الخ).
اللغة الإنجليزية	ب-	وحصل لطفي على درجة تعادل المئوي الثالث والخمسين في اختبار تحصيلي مقنن في اللغة الإنجليزية
الموسيقى	أ	وحصل على درجة تعادل المئوي الثاني والثمانين في اختبار القدرة الموسيقية (لاحظ ميله أيضاً للموسيقى)
المواد الاجتماعية	ب	وحصل على درجة تعادل المئوي الخامس والستين في اختبار تحصيلي مقنن.
الرياضة العامة	د	وحصل على درجة تعادل المئوي الثالث والعشرين في اختبار تحصيلي للتفكير الكمي (وهو اختبار يقيس قدرته على تطبيق العمليات الرياضية في حل المسائل)

واجتمع مدرس الرياضة عقب ذلك بمدرسي "لطفي" في المواد الاجتماعية والموسيقى والأشغال وشرح لهم أنه يود أن يبدأ في تقويته في الرياضة خارج حصص الرياضة،وبعدئذ قام المدرس وزملاؤه بوضع التعيينات الآتية:

المادة	التعيين
الموسيقى	اختر إحدى القطع الموسيقية المألوفة لديك وغير الوقت من ثلاث أرباع إلى ستة أثمان. أشرح اوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين الحركات الموسيقية.
الأشغال	في الأسبوع الماضي أتم كل تلاميذ في الفصل عمل خزانة للكتب، اكتب المقاسات اللازمة لخزائن المكتب حجمها نصف حجم الخزائن التي قام بعملها تلاميذ الفصل.
المواد الاجتماعية	أجب عن الأسئلة الآتية، مستعيناً بذلك بالأشكال والجداول الموجودة في الصفحات التي من 250 إلى 263 من الكتاب المقرر عليك:

1- ما متوسط درجة الحرارة للصحراء في أشهر الصيف؟ 2- ما متوسط أجر العامل في الساعة خلال عام 2003م ؟ هل كانت تزيد أو تنقص عن متوسط اجره خلال عام 1999م؟ وما الفرق بين متوسط الأجرين ؟ 3- بين نسبة ما يصرفه الشخص على الطعام والمسكن تبعاً للرسم البياني الموجود في الصفحة 261.	

ومن الطبيعي ألا يتفوق "لطفي" فجأة في الرياضة بسبب هذه التعيينات ولكنه تعلم شيئاً جديداً وهو أن التفكير الكمي مفيد في مواد أخرى غير الرياضة، ومعنى هذا أن مدرسه استغل نواحي قوته التي ظهرت في الدرجات التي حصل عليها وفي اختبارات القدرات فأتاح له أن يعبئ نواحي القوة هذه لكي يتغلب على ناحية الضعف فيه.

تلخيص

ولنحاول قبل أن ننتقل إلى مناقشة استخدام نتائج الاختبارات، أن نلخص كيفية الاستفادة منها.

- توضح لنا الاختبارات الفروق الفردية بين المختبرين.
- تساعدنا الاختبارات على معرفة ما إذا كان تحصيل التلميذ يتفق مع قدرته.
- تساعدنا الاختبارات على تقبل نواحي النقص في الطفل.
- تساعدنا الاختبارات على تحديد نواحي النقص التي يمكن معالجتها.
- تساعدنا الاختبارات على تحديد نواحي القوة التي يمكن أن تستغل في معالجة نواحي النقص في الطفل.

وسوف نعالج في الجزء الأخير من هذا الفصل موضوع استخدام الاختبارات في نواح ثلاث، وهي: تنظيم برنامج الاختبارات في المدرسة، وتنظيم التوجيه المهني، ومساعدة التلاميذ على التكيف الاجتماعي.

دراسة حول
صحة الطفل النفسية

دراسة حول
صحة الطفل النفسية

تؤثر طبيعة العلاقة التي تربط بين الطفل وأبويه بشكل مباشر في قدرته على استعمال حواسه وانفعالاته وإمكانياته الجسدية، مما يساعد على استكشاف العالم المحيط به

" اليد في اليد".. لا تصل العلاقة بين الأم وطفلها إلى مثل هذا التفاهم والانسجام إلا في حالات خاصة، إذ أن ذلك يتوقف على حالة الأم من حيث الشعور بالراحة أو التعب والميل إلى الهدوء أو التعرض للانفعال، فضلاً عن حالة الطفل إذا كان مريضاً أو سليماً كامل النمو.

ما إن زار الوالدان الطبيب الأخصائي في مشاكل الأطفال السلوكية حتى ابتدرت الأم إلى الطبيب قائلة: "طفلي.. يا سيدي.ز كان دائماً عنيداً ميالاً إلى التحدي وعدم الاستماع إلى النصائح بعكس أخيه ذي السنوات السبع الذي يرتاح الناس كثيراً إليه ويبتهجون بالجلوس معه "! وأضاف الأب: "إن هذه الحالة الفريدة جعلتنا نعيش في قلق مستمر وتوتر لا ينقطع لانشغالنا بهذا الابن المشاغب وبالمشاكل التي يسببها "! وبعد أن أصغى الطبيب إليهما استفسر منهما عن تفاصيل الشكوى وجد أن الحالة ليست بالخطورة التي يتوهمها الوالدان، وبالرغم من وجود بعض

النقائض في سلوك الطفل بالفعل فإن أبوين آخرين ما كانا ليعطيان مثل هذا الأمر كل هذه الأهمية !

طفل يشعر بالفشل

إن هذين الأبوين -والدي الطفل- من النوع الذي يترقب حدوث المشاكل. ومن ثم أوحيا إلى طفلهما أن يكون دائماً مصدراً للقلق وقد كان! إنه يحقق نبوءة أبويه.. وجدير بالذكر أن العلاقة المتوترة بين الطفل ووالديه لم تدفعه إلى سلوك طريق الخطأ فقط، وإنما أثرت أيضاً على نموه وشخصيته واحترامه لنفسه، وقد قال الطفل عندما سأله الطبيب من خلال جهاز "الدكتافون": "إنني أعرف طفلاً لم تكن تحبه أمه.." ! وبطبيعة الحال كان والدا الطفل الذي ندرس حالته يحبانه للغاية ويعانيان الكثير من القلق بسببه خوفاً عليه، ولكن ابنهما لم يدرك ذلك واعتبر سلوكهما تجاهه، أو اتجاه أخطائه بالتحديد -تعبيراً عن "عدم الحب" إذ كان دائماً يقارن نفسه بأخيه الأكبر الذي تلقى تصرفاته كل الإعجاب والتقدير فاستنتج أنه منبوذ! وقد علّق الطبيب على ذلك بعد أن تفهم المشكلة، بقوله: "إن طفلكما في حاجة إلى علاج لإحساسه بخيبة أمل أبويه فيه، فضلاً عن إحساسه الشخصي بالفشل".

جذور المشكلة :

أدرك الطبيب أنه لكي يصل إلى مفتاح الحلقة الهدامة في علاقة الوالدين بابنهما فإن عليه أولاً أن يتعرف على الأسباب الأولى التي تمخضت عنها هذه المشكلة. وبالفعل أثبتت استفساراته أن المشكلة قد بدأت مبكراً ومع الأسابيع الستة الأولى من عمر الطفل، إذ أنه قد أصيب بمغص في ذلك الوقت، وكان من الممكن بالطبع أن يؤخذ الأمر ببساطة لأن المغص في الأطفال عرض شائع يختفي بانقضاء الشهور الأولى من العمر دون أية آثار بدنية أو سلوكية.

والمفروض بعد شفاء الطفل من هذه الأعراض أن تشعر الأسرة، بمزيد من التماسك والارتباط لنجاحها في التغلب على عقبة صحية اعترضت حياة الطفل غير أن الذي حدث في هذه الحالة أن الوالدان شعرا بالعجز عن احتمال مشاكل الطفل التي بدأت مع مولده، فترتب على ذلك أن انغرست في نفسيهما بذور الشعور بالفشل والإثم ومن ثم الغضب أيضاً ! ولسوء الحظ أن هذه المشاعر لم تنته بانتهاء المغص وإنما اختزنت لمزيد من الانفعالات والتصرفات في المستقبل.

وكلما كبر الطفل كبرت معه مخاوف أبويه، وكلما أظهر بعض السلوك المعيب اشتعل قلقهما وفزعهما، ومن الواضح أن وجهات نظر

كل من الأبوين والطفل في حاجة إلى تغيير،، ولا بد أيضاً أن يتخلى الأبوان عن بعض قلقهما المختزن من الماضي حتى لا يؤثر على حاضر الطفل، ولا بد أن يوصف لهما العلاج المناسب لكي يكونا أكثر شجاعة في مواجهة أحداث المستقبل حتى يتصرفا بإيجابية أكثر اتجاه المشاكل الحاضرة. أما الطفل فهو في حاجة إلى العلاج الذي يدفعه إلى التوقف عن ممارسة العادات السيئة التي دفعته إليها نبؤات والديه مع التركيز على استعادته الثقة بنفسه، ولا شك أن الوالدين كانا حكيمين على أية حال لذهابهما إلى الطبيب قبل أن تسوء العلاقة بينهما وبين الطفل أكثر وأكثر وإن كان الطبيب يؤكد أنهما لو ذهبا إليه مبكرين أي لو اصطحبا إليه ابنهما وهو لم يتعد الأسابيع الستة، وقبل أن تتأصل لدى كل الأطراف مشاعر وانطباعات مسبقة، لما ظهرت أية مشاكل على الإطلاق.

سلامة العقل عند الأطفال: قد يكون من الطريف أن نتكلم عن "العقل" وسلامته لدى الأطفال الرضّع بهدف دراسة القدرات النامية للطفل على أداء بعض الوظائف التي نعرف حدوثها بشكل طبيعي بين الأطفال العاديين مثل التحكم الذاتي (أي التعود التدريجي على نظام ثابت في النوم والاستيقاظ والأكل) وإدراك وجود العالم الذي نعيش فيه وتنمية العلاقة الخاصة مع الأم والأب أو من يقوم مقامهما، ومن

المفروض أن يستغل الطفل حواسه المتاحة وانفعالاته في التعرف على الوسط الذي يحيط به، ولا شك أن علاقة الطفل بأمه هي الأساس الذي يستمد منه المعرفة والخبرة بالمتغيرات من حوله خاصة في السن المبكرة، ومع ذلك فلا يحق لنا أن نقفز بالاستنتاجات فترجع الأخطاء في تربية الطفل إلى الأم باستمرار إذ أن الطفل في نهاية الأمر محصلة لتفاعل أبويه معه من ناحية، واستجابته الشخصية لهما من ناحية أخرى.

دور الأبوين:يبدأ العلاج بدعوة الأم (أو المربية) للقاء الطبيب على اعتبار أنها أول من يلحظ التغيرات غير المرضية في سلوك الطفل، ويجرى معها حوار طويل يهدف إلى الإلمام بجوهر المشكلة باعتبار أن لها طرفين: أموي وبنوي، وأنها تعرف كل شيء تقريباً عن ابنها، وكل ما تقوله سيأخذه الطبيب بكل اهتمام بغية الوصول إلى التشخيص والعلاج السليمين، ويسأل الطبيب الأم أيضاً عن تصرفاتها الشخصية وحدود المقبول وغير المقبول لديها، وعما تفعله في المواقف الحرجة، ثم لا يلبث، أن يسال الأب نفس الأسئلة، وطبيعي أن الهدف هنا بعيد عن تقويم تصرفاتهما كوالدين بالغين في هذه العيادة الخاصة بمشاكل الأطفال، إذ أن المقصود بذلك تحليل نوعية العلاقة بين أفراد الأسرة ومعرفة القواعد التي يضعها الوالدان لتربية ابنهما والحكم عليه سلامة أو مرضاً لأن مثل

هذه العلاقة وتلك القواعد قد تباعد بين الأبوين وابنهما وتنشأ عن ذلك مصاعب في التربية تتطلب استشارة الأطباء.

صبراً ...صبراً !

هناك بعض الأمثلة لأمهات لا يتفقن مع أبنائهن الرضع، بمعنى أنهن لا يستجبن لحاجات الأبناء بالشكل المناسب، وبالتالي يتأخر تعود الطفل على تنظيم عملياته الحيوية فتتلف الرابطة بينه وبين أمه، ولعل الأزمات المؤقتة الناتجة عن نفاذ صبر أي من الأبوين والابن أكثر المشاكل شيوعاً، ولكنها أقل خطراً ولا تهدد بقطيعة أو كراهية بين الطرفين وقد دلت الأبحاث الحديثة التي أجريت في هذا الصدد على أن للأطفال طباعاً مختلفة، إذ أن فيهم من يمتازون بالهدوء والدعة ويكون التعامل معهم سهلاً وممتعاً، باعتبار انهم يرضون بأقل الأشياء ولا يزعجون من حولهم، وهناك من الأطفال من يحتاجون إلى الكثير من الهدهدة والتسلية لكي يهدأوا، وهؤلاء لا ترضى عنهم الأمهات اللاتي يملن إلى الراحة والهدوء، وبذلك يصبحوا على طرفي نقيض في معظم الأوقات.

وفي مثل هذه الأحوال يكفي أن تلقي على الأم بعض النصائح الطبية التي تؤخذ المشكلة ببساطة ولا تنشأ عنها مضاعفات أخرى في المستقبل.

الأمراض المزمنة والعاهات:

قد تنشأ الأزمة بين الطفل ووالديه إذا كان الأول يعاني من عيب خلقي، خاصة إذا علمنا أن كل إنسان يتمنى أن يرزق بذرية صالحة وسليمة من كل الوجوه، والذي يحدث في مثل هذه الأحوال هو أن يتقبل الأبوان الطفل بصعوبة، وقد يندبان حظهما العاثر فيكثران من الشكوى في أوقات قد تطول أو تقصر ويلومهما أحد على ذلك؛ إذ أن المطلوب منهما أن يكونا صابرين واقعيين يرضيان بالمقسوم ويتعودان عليه، وهو مالا نراه في كل البشر على وجه الأرض، وقد لا يقبل بعض الآباء أن يكون لديهم ابن معوق أو مريض بمرض مزمن، وقد لا يقبل البعض الآخر ذلك فتتغير مشاعرهم نحو الطفل مما يؤثر عليه بأكثر مما تؤثر عليه الإعاقة أو المرض! إن هؤلاء الآباء يحتاجون إلى العلاج الذي يكفل لهم الرضا التدريجي بما رزقهم الله، بحيث يصلون في آخر الأمر إلى الطريقة المثلى لمعاملة أطفالهم ويقتنعون بما أوتوا ويجدون المبررات الكافية لكل ما يقومون به.

عدم اكتمال النمو: مما لا شك فيه أن الولادة المبكرة وعدم اكتمال نمو الجنين في بطن أمه يشكلان اختلافاً عن الوضع الطبيعي، ومن ثم يؤثران بشكل جوهري على العلاقة بين المولود ووالديه، وقد كان الأطفال المبتسرون منذ عدة سنوات يمكثون في مستشفيات الولادة فترات متفاوتة قبل أن يسمح لهم بالحياة الطبيعية بين أولياء أمورهم، ومن عجب أن أولياء الأمور كانوا يعاملون هؤلاء الأطفال بكثير من الحيطة والحذر حرصاً عليهم من ناحية، وخوفاً من فقدانهم في أية لحظة من ناحية أخرى، وكانوا بذلك يأدون الدور المطلوب منهم دون أن يسمحوا لمشاعر الحب بالنمو حتى لا يحزنوا بعد ذلك إذا ما فقدوا وليدهم، وقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن الأطباء بدأوا يهتمون بتدريب وتوجيه أولياء الأمور أثناء احتجاز المواليد المبتسرين في المستشفيات حتى يؤهلهم لمعاملة الضيوف الجدد، ويعطوهم جداول زمنية متدرجة في أساليب المعاملة والتربية، ويعمل الأطباء أيضاً على إنشاء صلة وثيقة بين الطفل وأهله قبل انتقاله إليهم حتى تتطور الصلة فيما بعد لصالح الجميع.

الأمومة الزائدة.. مشكلة!

وجدير بالذكر إن الإحساس بالأمومة أو الأبوة قد يتسبب في بعض المشاكل أيضاً ؛ إذ أن الآباء والأمهات يحتفظون في عقولهم الباطنة

بذكريات طفولتهم والأساليب التي تربوا عليها، فإذا دارت الدائرة وأصبحوا في نفس الموقف طغت هذه الذكريات إلى السطح وحاولوا تنشئة أطفالهم على مثل ما نشأوا أو أفضل، غير أن مثل هذه الأفكار المسبقة والذكريات كثيراً ما تجلب الغضب والقلق والشعور بخيبة الأمل أيضاً على أصحابها لأن هناك خوفاً دائماً من ولادة جنين شاذ أو مبتسر وقلقاً مستمراً من الفشل في التربية كآباء وأمهات أو بسبب اضطراب العلاقة الزوجية، أما الغضب فمنشؤه انحراف الطفل عما يريد الوالدان.

إن الأطفال الصغار دائماً يذكروننا بأنفسنا عندما كنا في مثل أعمارهم وتعترينا عند رؤيتهم مشاعر غريبة مبهمة لكنها جميلة؛ إذ أننا نرى لديهم الأجزاء الصغيرة من أجسامهم التي تكبر معهم فتجعلهم كباراً مثلنا لهم سيماهم المميزة وشخصياتهم المحددة!

الرعاية وذكريات الماضي:

لكي نشرح المقصود هنا نستشهد بحالة طفل عمره خمس شهور عجزت أمه عن تغذيته التغذية المناسبة أو منحه الحب الكافي مما هدد صحته، كان الأبوان فقيرين يخشيان ألا يجدا قوتهما أو إيجار منزلهما إن هما أعطيا الطفل كل ما يريد، وبالتالي تولد شعور بالبغض لديهما نحو الطفل، إن الأم في صغرها عانت من أخت كانت تكبرها وتستولي على

كل مشاعر الحب والحنان التي من الممكن أن تقدم لها، وها هـي ذي الأم بعد أن كبرت تربط بين الماضي والحاضر بطريقـة غريبـة فتهمـل طفلـها الأول مثلما كانت ترجو أن يفعل أبواها مع أختها الكبرى، ورغم ذلـك فإن مشاكل الأطفال يمكن أن تحل من خلال توجيه الأبوين وإرشادهما، ولا بأس من علاج الطفل نفسياً أيضاً.

التشخيص والعلاج:

كيف يبدأ علاج الأطفال ؟

سؤال لا شك أنه قد يتبـادر إلى أذهاننـا الآن.. ينبغـي أولاً أن يـتم تشخيص الحالة بكل دقة إذ أنه كلما صغر الطفل صـعب عليـه أن يعـبر عن متاعبه النفسـية والعقليـة، كمـا يتعـذر علـى الأطبـاء أن يصـلوا إلى التشخيص الدقيق للحالة. إن الأطفال لا يعبرون عن آلامهم بالعلامات أو الأعراض المعروفة لهـا، وإنمـا ينفعلـون بكـل العلامـات والأعـراض القريبة والبعيدة عما يشعرون، ولتوضيح ذلك نجد مثلاً أن الطفل الـذي يعيش في ظروف سيئة أو الذي يعاني من الحرمان أو من قسـوة الأم قـد يعبر عن ذلك كله في صورة تأخر الحركة وتلعـثم الكـلام والانفعـالات العصبية، وقد يعمد بعـض الأطبـاء بمجـرد تشـخيص الحالـة إلى عـلاج الأبوين والطفل معاً. وقد يلجأ آخرون إلى علاج الطفل فقط، وإن كـان

علاج الأخير يتوقف على الأعراض التي يعاني منها مع التركيز على مواطن الخلاف النفسي بينه وبين أبويه ولعل التعرف على موطن الخلاف أهم ما في الموضوع لأنه يختلف من طفل لآخر، وقد تكون له علاقة بالاستحمام أو التغذية أو الهدهدة أو حتى بالأغاني التي يسمعها.

كان هناك طفل عمره عشرة شهور ولم يكن به مرض عضوي، ولكن طريقة تصرفه مع الآخرين بدأت تنحدر بشكل واضح مع عدم استمتاعه بالطعام الذي يتناوله، وارتبط ذلك بكثرة القيء، وكان يرفض أن يداعبه أحد أو يحمله أحد، لكنه كان يستريح أثناء الاستحمام، واستغل الأطباء هذه الصفة فوضعوه مع ممرضة أصبحت تقضي معه أوقاتاً طويلة في الحمام وتحاول أن ترفه عنه باستمرار وتقدم إليه اللعب أثناء الاستحمام حتى بدأ يستجيب لها ويستريح إليها، ولم تعد هذه الاستجابة وتلك الراحة تدريجياً مرتبطة بوقت الاستحمام فقط، وإنما اقترنتا بمواعيد الطعام، وهكذا شيئاً فشيئاً زادت رغبات الطفل في اللعب في مواعيد متفرقة وفي أماكن مختلفة ومع أناس مختلفين.

طفل غير مرغوب فيه !

قد يعاني الطفل من مشاكل نفسية داخلية لا تنشأ دائماً عما يفعله وإنما مما لا يفعله؛ إذ أننا قد لا نراه يتحرك ويبتسم أو يهتم بالعالم الذي

يحيط به، والسبب في ذلك يرجع إلى أن الطفل في حاجة إلى نوع من المبادرة لكي يقوم ببعض الحركات، غير أن أمه إذا كانت عابسة مقطبة فإنها لأن تشعر به ولأن تشجعه على ذلك، مما يسبب شعوره بأنه غير مرغوب فيه وبالتالي يصاب بالقنوط والكآبة.

وأخيراً ... غني عن البيان أنه إذا لم ينشأ علم النفس العلاجي للأطفال لما أصبح لدينا الآن هذا الأمل في القضاء على المتاعب النفسية المبكرة، ولما انتهى الكثير من مشاكل الأطفال الرضع على ما انتهت إليه من تآلف مع الغير وسعادة نفسية بلا حدود..

أنماط التفكير
عند الأطفال

أنماط التفكير عند الأطفال

كيف يفكر الطفل ؟

هذا هو السؤال الذي ما وزال يشغل علماء النفس الاجتماعي، وعلى الرغم من أن جان بياجيه قد لمع في الإجابة عن الكثير من الأسئلة، إلا أن الطفل ما زال كتاباً مفتوحاً ينتظر من يقرؤه بذكاء أكبر، وفهم اعمق ...

دعونا نلاحظ أطفالنا أكثر، وندون ملاحظاتنا عليهم، فقد تتحفنا الأيام بمبدع جديد يقرأ هذه الملاحظات ويبني عليها شيئاً مهماً يجعلنا نقترب من العالم الكبير لهذا الطفل الصغير.

يعتبر التفكير عملية عقلية أو سلوكية يقوم بها الكائن الإنساني لتتوافق مع المشكلات التي تحيط به سواء أكانت اجتماعية أو فيزيائية، وكثيراً ما نجد أن الكائن الحي عندما يقع في مشكلة معينة يأخذ بعدة حركات للوصول إلى حلول.

إن التفكير الإنساني يقوم على عملية تنظيمية، متمثلة في نقل المعلومات الخارجية من القنوات الحسية (الحواس الخمسة) إلى البناء

المعرفي المتمثل في الذاكرة قصيرة الأمد ومن ثم تحول المعلومات حسب أهميتها إلى الذاكرة.

والتساؤلات تدور هل تفكير الأطفال شبيهاً بتفكير الكبار ؟ للإجابة على هذا التساؤل، يمكن القول بان النظرية المعرفية، التي ابتكرها جان بياجيه أكدت أن التفكير عند الأطفال يختلف عن الكبار، ويعزى ذلك للنضج فالتفكير المعرفي يمر في عدة مراحل مرتبطة مع بعضها البعض، ويتطور حسب قوانين جوانب النمو الأخرى (الاجتماعية والجسدية) ومن هذا المنطق نجد اختلافاً في كيفية الأداء المعرفي عند كل من الصغار والكبار.

لذلك إن التفكير وما يترتب عليه من حل المشكلات والنظرة للمواقف الاجتماعية والفيزيائية يختلف عنه عند الكبار عن الصغار كما يقول جان بياجيه وعلى سبيل المثال لو سردت حادثة على الأطفال في سن الخامسة أو السادسة عن موقف طفلين أخوين، قام الأول بمساعدة أمه بتقديم فناجين القهوة للضيوف وعند التقديم تعثر الطفل فسقطت الفناجين من يده وكسرها، وقام الطفل الآخر بالحصول على الحلوى دون معرفة أمه، وعند القيام بمحاولته كسر صحناً، ثم سئل أيهما مذنب الطفل الأول أم الثاني لأجاب الطفل بان المذنب هو الأول لأنه كسر عدة فناجين بينما الثاني كسر صحناً واحداً، إذاً فالحكم على الكمية أو

العدد الأكثر هو المقياس عند الأطفال وهذا ما يطلق عليه جان بياجيه مرحلة الأخلاق الواقعية، فالمذنب عند الأطفال الذي يكسر أكثر.

أما بالنسبة لنظرة الطفل لمفاهيم الناحية الفيزيائية مثل غياب الشمس وظاهرة الليل والنهار، فإنها تفسر بمفاهيم مرتبطة بنواحي ذاتية وهذا ما يطلق عليها في علم النفس المعرفي المتركز حول الذات فعلى سبيل المثال عندما سئل أحد الأطفال متى تنام يقول لك عندما تذهب الشمس لتنام، بمعنى آخر يربط الظواهر الفيزيائية بخصائص الطفل الذاتية العقلية.

أما فيما يختص بتفكير الطفل حول الأبعاد، فإن الطفل يدرك الطول والعرض ولكنه لا يدرك الارتفاع، فلو سئل طفل على سبيل المثال أين الكرة البيضاء الجوفاء الخشبية بين عدة أشكال فإنه لا يستطيع الإشارة إليها لأنه يوجد فيها أكثر من بعد الشكل واللون والنوع.

وقد أكد جان بياجيه بأن تفكير الطفل يمتاز بالإيحائية، المتمثلة بإعطاء صفة الحياة للجمادات، وهذا متمثل عندما يحاكي الطفل ويخاطب دميته، ويمتاز تفكير الطفل بالصنعية وهذا متمثل بإعطاء الطفل الأشياء أو الجمادات أشياء واقعية مثل اعتبار الحصى بأنه طعام.

إن نظرية جان بياجيه صنفت التطور المعرفي عند الأطفال إلى أربع مراحل وهي على النحو التالي الحس حركية، ما قبل العمليات، والعمليات المادية، والعمليات المجردة، ولكل مرحلة خصائصها التي تميزها عن بقية المراحل.

فالمرحلة الحس حركية تمتاز بالتفكير عن طريق التآزر بين الحس والحركة، وما قبل العمليات تعتبر مرحلة اكتشاف عند الطفل، والعمليات المادية تعتبر مرحلة تفكير الأطفال بما يحيط بهم.

إن بياجيه يؤكد على أهمية المراحل الأربعة كونها مترابطة مع التطور المعرفي عند الطفل، إن هذه المراحل لها سمات أو صفات تميز النمو المعرفي عند الأطفال تختلف بالنسبة للمفاهيم والظروف الفيزيائية والاجتماعية.

ومن هذا المنطلق يجب على الآباء والمربيين معرفة أنماط تفكير الأطفال المختلفة والتعامل معها وكذلك وضع مناهج تتناسب مع المفاهيم والإمكانات التي تتناسب مع قدرات الطفل العقلية من ناحية ومع البيئة المحيطة بالطفل من ناحية أخرى.

أنشطة اللعب وإشباع حاجات الطفل النفسية

إن الملاحظات التي تجمعت في تراجم الأطفال والدراسات المستفيضة التي تسجل معلومات عن مجموعات من الأطفال طوال عدد من السنين تدل على أن اللعب في الثمانية عشر شهراً الأولى من حياة الطفل يزيد بزيادة قدراته وهي في الواقع مطابقة لها تقريباً،ويستطيع الطفل في بادئ الأمر فيما بين الشهر الرابع والشهر السابع من عمره تناول شيء واحد في وقت واحد فيهزه ويدفعه وإذا أعطى شيئين فإنه يسقط أحدهما، أما فيما بعد فيستطيع تناول دميتين فيهزهما ويدفعهما،ثم يعقب ذلك التدريب عليهما معاً،وضرب الواحدة بالأخرى ووضع الشيء بعناية وقدرته الفعلية على رفع يده عنه فتبقى مكانها، ويعقب ذلك رمى كل شيء ممكن، ولكن تسبقه القدرة على التوفيق بين الأشكال والعصى والمكعبات المجوفة الواحد مع الآخر فيما بين الشهر الثاني عشر إلى الخامس عشر،أما الحركات التي تؤدي إلى الجلوس والوقوف والمشي فتصبح هي الهدف من الألعاب،وحالما يستطيع الطفل أن يحبو،فإنه يفعل هذا معظم الوقت، ومنذ اللحظة التي يستطيع فيها المشي يكون هناك تدريب لا نهاية له على المشي.

وتختلف الأعمار التي تنمو فيها شتى القدرات بين الأفراد اختلافاً واسع المدى، ولكن الترتيب الزمني الذي تظهر فيه يظل مستمراً نسبياً،

ولقد كانت مجموعة أطفال "شارلوت بوهلر" تعالج جميع المواد على السواء معالجة متشابهة قبل سن الشهر العاشر، وواضح أنهم لم "يلاحظوا" قبل سن الثمانية عشر شهراً أو السنتين، تغير المواد التي نتجت عن عملهم الخاص،وبذلك أصبحوا يهتمون بتنويع النتائج، ولا يعني هذا أن أطفالاً أصغر من هؤلاء بكثير لا يستطيعون التمييز بين قطعة من الورق الأبيض وبين أخرى أحدثوا عليها علامة ما، ويشير التقدم إلى أنهم أصبحوا عارفين بالصلة بين أعمالهم وبين ما تحدثه هذه الأعمال في المادة من تغيرات.. وقد وجد في تجربة أجريت حديثاً أن أطفالاً في سن سنتين ثبتوا لعبة على شكل قلم بحيث يمكن أن تدار بواسطة الصراخ أو الضوضاء فتعلموا سرعة العلاقة بين إصدار الأصوات وحركة القلم وأحدثوا أصواتاً أقل من ذلك بكثير عندما كان القلم يدور باستمرار، ولم يسلك الأطفال ممن تقل أعمارهم عن العام في كل من الموقفين سلوكاً واضح الاختلاف،وأظهر بعض الأطفال فيما بين الشهر الثاني عشر والثامن عشر ضبطاً إيجابياً للقلم بوسائل صوتية.

وبناء على تحليل "بياجه" يكون إدراك الطفل الحسي للعلاقة بين أعماله ونتائجها إنجازاً معقداً يستلزم عدداً من الإنجازات البسيطة، فالطفل البالغ الصغر مثلاً يتصرف كأن الأشياء التي رأى شخصاً يخفيها وراء ستار، أشياء لا يمكن استردادها، وقبل أن يستطيع البحث عنها

وراء الأستار عليه أولاً أن يتقن عدداً من المهارات الأخرى، كأن يتعقب سريعاً بعينيه الأشياء المتحركة، وأن يتوقع الوضع الأخير لدمية وهي تهوى، وأن يعرف الشيء بمجرد رؤية جزء صغير منه يبرز من تحت غطاء، ورؤية شيء "يختفي" بينما يظل ممسكاً به، وأن يكون قادراً على تأجيل أفعاله، وهكذا، ويتضمن ذلك إدراك الطفل الحسي للأشياء بوصفها مستقلة عن أفعاله من حيث المسافة، وبالتالي من حيث تقديره للعلاقة بين أفعاله والمادة،وتصبح إنجازاته المساعدة بدورها هي الهدف من اللعب، ويرحب الطفل بابتهاج حين يطوح بالدمى من أعلى، إلى أن يستطيع الجلوس، وفيما بعد يرمى الأقداح أو الملاعق أو العرائس أو الأطباق دون ملل، ويرقبها من مقعده المرتفع أو من مهده وهي تختفي، ويحاول رميها من مختلف الأوضاع، وينتظر سماع الصوت الذي تحدثه، وتقدير المسافات والعمق، وتوقع مركز شيء متحرك ليس بالشيء السهل حتى لو كانت بعض مظاهر العمق معروفة بالفطرة، أما تلقف الكرات فيمكن استبقاء تحديه لسنوات، وألعاب "حاوريني يا كيكا" منذ لعبة الاختفاء والظهور فجأة أمام الطفل، والتي يبدأها أحد الأبوين إلى أن يخبئ الطفل تلقائياً دميته، أو قطع شريطه القديم أو مليماته، ثم استعادتها، تدار كلها بوسائل متزايدة الحذق من الاختفاء والكشف.

وكثيراً ما يصبح تنظيم المسافات هو الهدف من اللعب في الشهر الثامن من العمر تقريباً، ففي تلك السن، اجتذبت انتباهي في زهو واحدة من أطفالي إلى ترتيب جميل أحدثته بعد فترة من الهدوء الذي ينذر بالسوء، صفت بعناية جميع ثمار الطماطم التي أمكنها الحصول عليها،على درجات السلم الخارجي في صفوف بعد أن قضمت قطعة صغيرة من كل منها لكي تجعلها قائمة في أحسن وضع.

منذ الوقت الذي يستقر فيه التوافق بين اليد والعين، يبدو ميل الطفل إلى لمس كل شيء ميلاً قسرياً تقريباً، ويكون من العسير على الطفل الأكبر سناً أو الحدث ألا يلمس ويعالج بيده كل شيء بالرغم من نهيه عن " اللعب "،وبعد أن يصبح قادراً على المشي فإن محتويات الأدراج والأرفف وبخاصة مجموعات الأشياء الصغيرة المنوعة الأشكال كالأزرار أو النقود، والأكوام من حطام الأشياء المهملة تجتذب انتباهه وتسليه لفترات طويلة،فأية لعبة كما أدرك فروبل منذ أمد طويل، يستفيد منها في المهارات المكتسبة حديثاً، أو تنطوي على تغيرات في اللمس والصوت والرؤية لا بد أن تسليه.

تنمية المهارات واستخدام المواد

إن أحد مظاهر النمو الأساسية في الشهور الثمانية عشر الأولى من الحياة هو التناسق بين الإدراك الحسي والحركي والدقة تدريجياً في التكيف بالطريقة التي نظم بها العالم الخارجي، والتي يطلق عليها بياجيه "فترة النشاط الحسي الحركي" التي تتميز باللعب الحسي حركي، وبعد هذه السن تكون مناشط الطفل أكثر تنوعاً، والفروق الفردية بين الأطفال أكثر تبايناً، ومع ذلك فإن تزايد نمو المهارات عند الأطفال، ودقة تمييزهم، والإحساسات التي يكتشفونها حديثاً تستمر بعد هذه المرحلة في احتلال قدر كبير من اهتمامهم.

وقد ضرب جروس Groose أمثلة لهذا، ففي الشهر العشرين من العمر كان أثنان من أطفالي يلعبان بالدوران السريع تلقائياً في دائرة، ويضحكان من شعورهما بدوار خفيف، كان من الواضح أنهما جرباه في النهاية.

وقد تكرر هذا حتى بعد أن فقد الطفل توازنه في المرة السابقة، وقصارى ما أستطيع قوله هو أن كل طفل قد "اكتشف" هذه اللعبة بنفسه، والتفرس في الضوء من خلال عين نصف مغمضة، ومحاولة إغماض إحدى العينين والنظر بالأخرى، واللعب بالرؤية المزدوجة بتحويل

العين، وضغط مقلتي العينين رغبة في رؤية الرسوم الزاهية التي يحدثها هذا العمل، وضم الكتفين على الأذنين للإصغاء إلى سريان الدم والالتفاف إلى عدة مدركات أخرى تعلم الكبار منذ وقت طويل تجاهلها.

كل ذلك يهيئ التسلية للأطفال في سن مدارس الحضانة وما بعدها، وممارسة مهارات مثل الجري والوثب ونط الحبل، وركوب الدراجات الثلاثية والثنائية العجلات،ورمي الكرات والتقاطها ودحرجة الأطواق وتدوير النحال، تصبح جميعاً أهم من أي شيء آخر أبان السنوات المدرسية الأولى، أما المهارات البسيطة فهي أما أن تحدث مع مهارات أخرى أكثر أتقاناً وإما حلت محلها.

أما الميل إلى الإتقان، أو عمل شيء أكثر صعوبة فقد أهتم به بعض العلماء، فلقد حاول أحد أطفال فالنتين (Valentine) بعد أن تعلم الوقوف مباشرة، أن يقف وهو يمسك بفمه كرة كبيرة، وأخذ يكرر هذا إلى أن نجح والنظر إلى العالم مقلوباً من خلال الساقين مهمة أخرى منفصلة في هذه السن، وكذلك حمل أكياس ضخمة أثناء المشي، ويمكن ضرب أمثلة لا حصر لها لمثل هذا الإتقان:

- المشي بالأرجل الخشبية.

- ركوب الدراجات دون استخدام اليدين.
- وضع الرجلين فوق مقبضي القيادة.. وما إلى ذلك.

ولا ينطبق هذا على ألعاب الحركة وحسب، بل على جميع السلوك الذي ينغمس فيه المرء "بقصد المرح"، من حل ألغاز الكلمات المتقاطعة، إلى لعب الشطرنج وهو معصوب العينين.

إن أبسط طريقة لتفسير ما يقوم به الفرد من أعمال صعبة غير ضرورية هو أن يصنف هذا العمل في ضوء الوقائع الاجتماعية، كالتنافس مع الآخرين من حيث أنها تتضمن بعض نماذج المكافأة والثواب في خبرة الشخص نفسه، فالطفل تطلب إليه أمه في تودد المشي قدماً، قد يعمم هذا الطلب ويمشى إلى الخلف أو متعرجاً أو يقوم بمشية الأوزة، أو بالتوازن فوق لوح خشبي ضيق ليحظى بمزيد من المديح،ومن الواضح أن هذا النوع من المكافآت له أهميته، ولكن ليس هذا هو كل التفسير، فهو يتضمن أيضاً الإدراك الحسي لنتائج العمل، وملازمتها لبعض الأشياء أكثر من ملازمتها للأخرى.

بيد أن كثيراً من الألعاب تبدأ بمحض الصدفة ثم تتكرر، ويشير "جروس" إلى الآثار البارزة " للطرطشة" في مياه البرك، فما أن يصبح الطفل

قادراً على تقدير آثار أفعاله الخاصة في المواد المختلفة، واختبار هذه المواد حتى يبدو كأنه يعمل بطريقة آلية" تقيده فقط مهارته وطبيعة المادة".

إن "طرطشة " الماء وسكبه، وانسياب الرمل من بين يدي المرء، أو إزاحته من كومة إلى أخرى، كل ذلك لا يحتاج إلى مهارة كبيرة، ولكنه يولد تموجات مباشرة مستمرة، وتغيرات ظاهرة، فليس مما يثير العجب أن يكون اللعب بالرمل والماء أقدم ما يحبه الأطفال، وهو أيضاً من أول الألعاب التي تضعف، مع أن أطفال التاسعة ما فتئوا يستمتعون به أحياناً، بناء على مسح أمريكي أجري في العشرينات.

أما البناء فإنه يبدأ غالباً بدفعة قوية يتصادف نجاحها، ويظل البناء بالطوب والمواد الأخرى، وعمل إنشاءات متزايدة الإتقان نشاطاً يقضي فيه الأطفال وبخاصة الأولاد وقتاً طويلاً حتى يبلغوا العاشرة من عمرهم.

أما البناء بالمواد الأكثر صلابة التي تحتفظ بشكلها الخاص، فإنها تتيح نتائج أفضل للإتقان وممارسة الجديد، إلا أن الميل للنحت والرسم والتصوير يكون ضعيفاً، ويصل الرسم إلى قمة شيوعه متأخراً نوعاً عن البناء، ثم يستمر في تقدمه حتى سن السادسة عشرة تقريباً وفقاً للمسح الذي أجري.

وتكشف دراسات كثيرة أجريت في مستهل الثلاثينات عن أن الأطفال حين يبدأون الرسم، يهتمون بنوع خاص في غالب الأحيان برسم شكل منظور على الورق يكون عادة شكل شخص أو بيت،وأحياناً منظر أشجار، ولا تظهر التكوينات قبل إتقان هذه الأشكال مثل عدد من الناس على هيئة الأسرة أو المسكن وأسرة وشجرة، ويأتي استخدام الألوان فيما بعد كجزء من التكوين، ويدرك الأطفال الأصغر سناً الألوان ويحبونها ولكنهم يعجزون حتى ذلك الوقت عن "توفير الانتباه الكافي" لعزل هذا البعد في أثناء رسمهم، وتتناسب درجة التفصيل والإتقان، والشكل المنظور والمطابقة في رسوم الأطفال مع كل من العمر الزمني ودرجة الذكاء.

لا شك أن إتقان الفرد لمهارة ما يعطيه ميزة واضحة، فإن صفوف النشاط البدني البسيط، مثل القفز ونط الحبل والتأرجح على الأرجوحات لا تكون مألوفة كثيراً بعد سن الثانية عشة وتستمر من ناحية أخرى الألعاب التي تتطلب قدراً كبيراً من المهارة، أو تمتصها مرحلة الرجولة الباكرة، ولا تتوقف إلا عندما تتداعى القوة البدنية وسرعة الحركة، فليس هناك كثيرون من الكبار يتسلقون الأشجار، ولكن تسلق الصخور والجبال الذي يشكل صعوبات هدف حملات حادة.

ومن أهم الكشوف الهامة لعملية المسح الأميركية في العشرينات التي أجريت بين أعمار في الثانية عشرة إلى السادسة عشرة، وجود هبوط ملحوظ، لا في تكرار أنشطة أوقات الفراغ ولكن في تنوعها.

فالرسم والتصوير والموسيقى مثلاً قد هبطت كأشغال نشيطة في وقت الفراغ عند معظم الناس في هذه السن،وسواء كان سبب ذلك أن هذه المطالب تصبح مملة في هذه المرحلة ما لم تكن مهارة فوق المستوى العادي، أو أن التخصص في قليل من الأنشطة يمنح قدراً من الجدة والتنوع أكبر من مستوى المهارة المنخفض لدى عدد كبير من الناس،فهذا شيء غير واضح، والملاحظة العامة لا تجعل المرء يظن أن التنوع أو الجدة تفقدان جاذبيتهما في مرحلة المراهقة، وهناك من بعض الوجوه أشياء جديدة هي أقل عند الطفل الأكبر منها عند الأصغر، وأقل عند المراهق منها عند الطفل، وبخاصة فيما يتصل بالإدراكات والمهارات الحسية البسيطة،ومن ناحية أخرى، فإن طاقة الكبار العظيمة في المهارات المعقدة، وعلى هضم قدر أكبر من المعلومات توفر كذلك إمكانية التنويع أكثر من ذي قبل.

ويحدث الملل في مرحلة المراهقة إذا أصبحت المهارات والتجارب بسيطة وشائعة ومألوفة ولم تتح الفرصة لاكتساب وتحصيل ما هو أكثر منها تعقيداً، ولا يعني هذا أن المكافآت الاجتماعية مثل الاستحسان

والتقدير وكل ما يتضمانه لا أهمية له، أو يقلل من احتمال سيطرة الميول الجنسية والاجتماعية في مرحلة المراهقة فتكبح أو تعزل ما عداها، ولكن قد نكون محقين في قولنا أن مدى انشغال الطفل في نشاط ما لذاته يتوقف بعضه على إمكانية التنوع والتغير الذي يوفره هذا النشاط ؛ وهذا يعتمد على مهارته وعلى طبيعة المادة ومقدار الاستثارة الذي تقدمه بقية البيئة.

ويقتضي الدليل التجريبي المرتبط بهذه المشكلة خمسة أسئلة على الأقل:

1- هل يحدث التغير في النشاط نتيجة لحدوث "التعب" أو لظهور جزء من البيئة لم يكن قد أدرك واستنفذ ؟

2- وهل هناك تغيرات منتظمة تصاحب السن وتحدث استجابة الطفل للجدة والتغير والتنوع ؟

3- هل هناك درجة من الصعوبة في المهارة أو العمل تعتبر هي المسؤولة عن المثابرة عليه ؟

4- وما هي الصفات المميزة للموضوع الخارجي أو الاستثارة التي تعمل على الاحتفاظ بالميل ؟

5- ما أهمية أن يكون ذلك نتيجة نشاط الطفل نفسه أم نتيجة نشاط آخر؟

الملل والجدة

إن الشواهد المستمدة من الحيوانات والناس، تدل على أن التكرار المستمر لنفس النماذج من المناظر والأصوات وغيرها يؤدي إلى إنجاز الأعمال بصورة أضعف، بما في ذاك الانتباه إليها، أما بالنسبة للكائن الحي السليم، فإن البيئة الرتيبة تولد في النهاية الضيق والهياج وبذل المحاولات لتنويعها، وعندما تكون الحيوانات والناس في حالة راحة، فإنها تختار نسبياً من المناظر والأصوات، لا المألوف منها، وسواء كان الملل واختيار التغيير ينبغي تفسيرهما على أساس أنهما نتيجة عملية سابقة، أو إذا كانت الجدة والتغير لهما جاذبيتهما بالمعنى الحرفي للكلمة، فإن هذا لا يزال موضع جدل إلى حد ما.

والأسئلة التي تلقى حول ما يرى، وما يسمع، قد صنفت في مختارات من المعلومات متناسبة مع أجهزة الاتصال،ولهذا التصنيف مزايا عدة من بينها وجود لغة مشتركة بينه وبين العلوم الأخرى، وأهم من هذا أنه يهيىء نوعاً من الرياضيات لمقارنة عدد من الوظائف السلوكية المختلفة من حيث الكم، والمقياس الأساسي هو قياس

"المعلومات" أي المقدار الذي يختزل بمقتضاه الالتباس وعدم اليقين (مع استخدام الطريقة العشرية للتيسير) فمثلاً، إذا كان هناك حادثان متساويا الاحتمال،فإن الالتباس وعدم اليقين يكونان في أقصى درجة من الاحتمال، وإذا أبعد الآخر، والمتقابلات الثمانية تمثل ثلاثة "أجزاء" من الالتباس.

وتستطيع الرياضة أن تعالج الأحوال التي لا تكون فيها المتقابلات متساوية الاحتمال، ويكون من الضروري الاهتمام باحتمالات التسلسل وتتابع الحوادث، فهي تتضمن معلومات زائدة إلى المدى الذي يكون فيه التسلسل "قانونياً" أو نمطياً، وكذلك تكهنياً، ومثال ذلك أن اللغة الإنجليزية العادية، والأشكال الهندسية الناتجة من مصدر واحد، تحتوى على زيادات.

ويغلب كثيراً أن تتبع بعض الكلمات البعض الآخر في جملة ما، وبعض السطور أو الزوايا تتبع غيرها في التسلسل النمطي بدرجة أكبر تكهنا من الكلمات أو السطور التي تنظم تنظيماً جزافياً، وأجزاء أي تسلسل مقيدة بالقواعد أو الأنماط التي تحكمه و"المعلومات" بهذا المعنى معيار للتغيير من الشيء القابل للتكهن، ومن المسلم به الآن بوجه عام أن العمليات السيكولوجية يمكن أن توصف بأنها عمليات معالجة المعلومات.

ويصبح اختيار المعلومات ضرورياً حين يكون هناك حد لمقدر ما يمكن من الحكم عليه مما حصلناه، وللبشر قدرات محدودة، فهم لا يستطيعون أن يلاحظوا ولا أن يستجيبوا لجميع المثيرات المنفصلة الموجودة في البيئة في وقت واحد.

وإحدى التجارب التي أجريت على أعمال المراقبة التي يطلب من الفرد فيها الانتباه إلى مثير ضعيف واهن يظهر دون انتظام أو ترتيب على "الشاشة"، كما هو الحال في اكتشاف الرادار، والاستماع إلى مختلف الوسائل التي تغذي بها كل أذن على حدة السماعات الكهربائية Earphones هي أن المثيرات التي تلاحظ، وتكون ذات تأثير في التنافس مع الآخرين ليست اختياراً جزافياً.

فالضجة العالية مثلاً، والمؤثرات الشديدة والمؤثرات الجديدة، ويغلب أن تدركها الحواس، وقد ظن "برودبنت Broadbent " أن المثيرات ترشح قبل دخولها إلى مجرى الطاقة المحدودة بواسطة آليات تعمل لصالح مجموعة معينة من المثيرات.

وهناك لون من هذه التفصيلات يتجه نحو المنبهات الجديدة ويعتمد على الوقت الذي انقضى منذ مرور مثير من فئة معينة بالمرشح أخيراً "ويحدث" التحليل الضروري لهذا الاختيار في الجهاز العصبي المركزي،

وثمة مشكلات تعترض هذا الافتراض مثل: عند أي مستوى يحدث تحليل موصلات المثير تحليلاً كاملاً؟

وهناك مشكلات أخرى تختص بطبيعة "الحد" بالنسبة لمقدار المعلومات التي يمكن معالجتها، وما إذا كان هذا الحد على جانب الموصلات خاصة أو المخرجات، أي على ما يدرك حسياً أو على الاستجابة، إن فاعلية المعلومات التي تعطى قبل أن يبدأ المراقب عمله، وأثرها التافه حين تعطى قبل الاستجابة مباشرة، التي يجب عليه عملها،توحي بأن الاختيار يميل أن يكون على أساس ما تدركه الحواس لا على كيفية الاستجابة لها، أما بالنسبة للكبار الذين يقومون بأعمال مثل إعادة جمل بمجرد سماعها، أو الدق عند كلمات معينة في رسالة ما، فيبدو أن الحد يكون عند المدخلات "المدركات".

إن ما يصغى إليه،وما يرى، ويمكن إعادته حالما يستقبل الفرد رسالة ما، لا يكون مطلقاً مجرد مسألة جدة وحسب، وعلى العكس فما يلاحظ في حالة الإشارات الضعيفة أو حين تتدخل ضوضاء طارئة في الإصغاء، فإن التحديد الصحيح والتعرف الدقيق يتوقفان على مدى تحديد الإشارات وتوقعها، ومستوى ما فيها من أخطاء، ويختلف مدى التحديد تبعاً للضوضاء الخلفية، أي التدخل من جانب العمليات الحسية نفسها، ومن المثيرات الخارجية.

ويمكـن وصـف ذلـك إحصـائياً عـن طريـق نظريـة نظريـة الاحتمـالات والقـرارات، وهي نظرية يمكن على ضوئها تقـدير احتمـالات المكسـب والخسارة في اللـعب، وكلما ازداد الالتباس والشك بالنسـبة للمـثيرات، قل احتمال تحديدها، وخيـر مثال لذلك تلك القواعد الـتي تحكـم اللغـة الإنجليزية العادية، التي تسمح لأولئك الذين يعرفون اللغة أن يتوقعوا أن بعض الكلمات دون بعضها الآخر هي التـي تتبـع الجملـة الأصـلية، أو تكون في سياق الكلام، وهذا يؤثر في السهولة التـي تدرك بها الكلمات، ومع ذلك فإن الأحداث الجديدة التي تبدو كأنها مشكوك فيهـا أخباريـاً إلى أقصى حد، تجتذب الانتباه وتستحوذ عليه، فحين تتوقع سماع رجـل ثرثار يقول(ينبغي) – مادام الجزء الأول من جملته كأن يتضـمن "إذاً" فمـن المحتمل أن تظن أنه قالها بالفعل حتى إذا لم يكن قد فعل ذلك، غير أن رد الفعل قد يكون في بعض الأحيان أسرع من ذلـك كـثيراً، فحـين تسـمع ضوضاء مفاجئة، أو صياح شخص يقول "النار" فإن ذلك يجـذب الانتبـاه في الوقت الذي لم تتوقع فيه شيئاً كهذا أقل توقع، فالوقت الضروري لرد الفعل على إشارة ما، يكون أطول بوجه عـام كلمـا كـان يتضـمن قـدراً أخبارياً أكبـر (بالمعنى الفني).

ويصح هذا أيضاً بالنسبة للأطفـال، ففـي إحـدى الدراسـات كـان أسرع ردود الأفعال هو رد الفعل على أحد الضـوءين الملـونين الـذي لم

يكن قد استخدم في الفترة السابقة على الاختبار مباشرة، وبخاصة إذا أعقب على التو الضوء الذي استخدم، وبالرغم من أن الألفة لفترات طويلة قد أدت إلى ردود أفعال أبطأ، وفسرت على أن أساسها الملل، كما وجد أيضاً أن أي مثير متغير سواء كان مألوفاً من قبل أو لم يكن، فإن رد الفعل عليه يكون أسرع منه بالنسبة للمثير غير المتغير، وكان أطفال مدرسة الحضانة ينظرون إلى المثيرات الجديدة مرات أكثر، وكانت استجاباتهم إليها أكثر من استجاباتهم للمثيرات التي عرضت عليهم قبل هذا، سواء كانت رسومات هندسية أو بقعاً ملونة أو دمى.

وتفضيل المثيرات الجديدة والتمييز المحسن بين الأشياء تعززه الجدة، قد شرحت للأطفال المتأخرين عقلياً فيما بين سن الثامنة والسابعة عشرة، وهي من ناحية أخرى حين تكون غير ملائمة للواجب القائم،وتتدخل تغيرات طارئة في النشاط المستمر عند الأطفال ويكون ذلك بصورة أقوى عند المتأخرين عقلياً منه عند الأطفال الأسوياء.

والكبار أقل تعرضاً من الأطفال في تحويل انتباههم عن الواجب المعين، ويمكن حتى بالنسبة لهؤلاء أن تتدخل بعض المؤثرات الجديدة غير الملائمة في الأحوال التي تكون فيها معظم المؤثرات الأخرى غير الملائمة مجهولة، ومن المستبعد أن تفسر النتائج بتكيف أعضاء الحس،فهي تتضمن أساساً الكشف عن الرتابة،وكذلك القدرة على منع

ردود الأفعال التي تحدثها المؤثرات الطارئة،وقد تعلم صغار الأطفال قواعد أقل مما يتوقعون،وهم أقل قدرة على منع ردود أفعال المؤثرات الجديدة وتركيزهم على واجباتهم أقل بالتأكيد من الأطفال الذين يكبرونهم سناً.

والتغيرات تجتذب الانتباه حتى إذا لم يكن هناك حدث معين "ممل" قد وقع من قبل، فمثلاً حين عرضت مجموعة صور وموسيقى على طفل عقب الحاحه على كرة من المطاط،فإن الطفل كان يلح على الكرة الحاحه شديداً في غالب الأحيان، ويظهر أنه "انحراف نحو الجدة"ويجب التفكير في وجود قدر كبير من اللعب الاستطلاعي في هذه التغييرات ويمكن كذلك أن توضح على الأقل بعض الميل إلى إتقان الأنشطة التي تميز بعض اللعب وتكرر النتائج المتحصلة من المصادفة،وفي حالة الصغار يمكن أن يتوقع المرء أن التصفيات "العقيمة" تحدث أكثر ما تحدث حين تكون المهارة في ذلك المستوى من البراعة،حيث تظل النتائج متكررة إذا اقترنت بنشاط آخر، ولكن المهارات المركبة تكون قد أصبحت مألوفة بدرجة كافية لاستغلال الجدة، فالطفل الذي يستطيع الوقوف ولكنه يظل بين حين وآخر يكبو حين يصل إلى لعبة، ربما يبدأ نوعاً من "الشقلبة" رأساً على عقب بقصد "المرح" إذا لم تكن الحشية صلبة أكثر مما ينبغي.

الكفاية والتنوع

لا تقل الإثارة التي يشعر بها الطفل الصغير حينما يمارس أول تركيب اختياري متقن لشيء ما في قطعة من الصلصال، أو حينما يتذوق نتيجة أول لمسة بفرشاة الرسم – عما يشعر به الطالب حينما يمارس بعض التجارب الفنية، وعندما يبلغ الفنان درجة كافية من المهارة بحيث تصبح نتائجه ذات أهمية في نظر غيره من الكبار فإنهم يأخذون مهارته مأخذاً "جاداً"، بل لقد اقترح أن ما يعتبره الناس جميلاً يعد إلى حد كبير مسألة أنماط تتضمن الشيء غير المتوقع، أو التناسق، بالإضافة إلى التغير، أو درجة من الالتباس الذي سبق الاستيعاب قليلاً، ووقع الشيء الجديد نسبياً أو الذي يؤثر تأثيراً هادئاً يختلف مع اختلاف مستوى الإثارة، بل يغلب أن يختلف هذا الحد "الأقصى" عن المهارة أو المدى الذي يستطيع عنده الفرد أن يصنف أو ينسق، وإلا فبهضم المادة الجديدة هضماً عقلياً، واستماعنا إلى شيء نعرفه يصبح مملاً لساعته، والشيء الذي يبلغ من تعقيده، أن يجعل أي معنى غير معروف يدعو بالمثل إلى الضيق، والحديث المألوف إذا ما أدخل عليه تحوير جديد، والتجربة العامة في ضوء جديد والتغييرات غير المتوقعة في الموضوع، كل ذلك من دواعي الجاذبية.

إن القدرة البشرية على "الإحاطة " بجميع التغيرات التي تجرى من حولها محدود ومع ذلك فإن الناس يستيعون معالجة قدر وافر من التعقيد الموجود في بيئتهم، والقدرة على تجميع الحوادث وتصنيفها وتلخيصها في كتل غليظة طيعة هي إحدى الطرق التي يمكن بها أن يغض النظر عن تحديدات تلقي المعلومات، والبالغ المتوسط يجد صعوبة في إعادة صف طويل من مجموعات الأرقام بترتيبها الصحيح بعد سماعها مباشرة، ولكن تجميع الأرقام يجعل هذا شيئاً ميسوراً، وسلسلة المقاطع العاطلة من المعنى أصعب في إعادتها من جملة ذات معنى وتحتوي على نفس العدد من المقاطع، ووجود قواعد لتصنيف المواد يجعل فهمها أسهل، وذاكرة الأطفال المباشرة أو قدرتهم على إعادة مجموعات الأرقام أو الكلمات أو الجمل أضعف من ذاكرة الكبار، وتتحسن بتقدم السن، وهم بحاجة إلى وقت أطول للتدريب على عيون المكتبة بل ربما يكونون بحاجة إلى التصنيف في أثناء تقدمهم.

والكبار بوجه عام أوفر معرفة وتحت تصرفهم وسائل أكثر يمكنهم أن ينسقوا بها معلوماتهم ويهضموها عقلياً، ويتوقع المرء على هذا الأساس أن الأطفال الذين يعطون فرصة الاختيار يفضلون المادة البسيطة التكرارية التي تحتاج إلى مهارة أقل أياً كان نوعها، وحاجة

الأطفال إلى سماع نفس القصة التي سمعوها من قبل وطلبهم لنفس اللعبة شيء لم يكن مغالى فيه.

وهناك سلسلة من الدراسات اختبرت الفرض القائل بأن تفضيل الأطفال للتغير إنما يرتبط بقدرتهم على المعالجة أو التصنيف أو التنسيق، أو أي عمل عقلي، وكانت الفكرة العامة في هذه التجارب عبارة عن عرض سلاسل من الكلمات والحروف على شاشة،وقد روعى في هذا العرض أن تختلف في درجات تقاربها من اللغة الإنجليزية العادية وفي مقدار تكرارها، وكان على الأطفال المفحوصين، فيما بين السادسة والخامسة عشرة من أعمارهم،وصغار البالغين، أن يضعوا علامة على ما يفضلونه منها على قطعة من الورق، قد أعدت لذلك.

ولقد حدث ما كان متوقعاً، فكان تفضيل صغار الأطفال التكرار والتسلسل اللغوي الذي يحتوي على مقادير كبيرة من الحشو يفوق تفضيل كبار الأطفال لها، وقد أظهر الكبار أكبر تفضيل للتسلسل الجزافي أي تلك التي تبلغ أقصى حد من التباين، ومن ناحية أخرى،فحين كانت المؤثرات أشكالاً هندسية جزافية، مختلفة في عدد الثنيات أو الزوايا من 4 إلى 40 في المحيط، فقد فضل الجميع الشكل ذات العشر ثنيات في معظم الأحوال، ولكن صغار الأطفال كان تفضيلهم للأشكال ذات الثنيات الأكثر عدداً يفوق تفضيل كبار الأطفال أو البالغين لها.

وبالرغم من أن صغار الأطفال كانوا أقل قدرة من كبار الأطفال والبالغين في تصنيف الأشكال وتقدير عدد الزوايا إذا كانت موضوعة وضعاً لغوياً، وإذا كان الشيء "المفضل" نوعاً من التنوع أسبق قليلاً من الشيء الذي يهضم عقلياً بسهولة فإن تفضيل الأطفال الصغار الأشكال المتعددة الثنيات يحتاج إلى توضيح إضافي، وقد وجدت المؤلفة ميلاً واضحاً لدى صغار الأطفال نحو الانتباه إلى أجزاء من النموذج أكثر من الانتباه إلى الكل، ولربما كانت الأشكال بهذا المعنى تبدو لهم "أيسر" ومع ذلك فإن "تعقيد" النموذج لا يرادف بالضرورة صعوبته، إن منفضة السجائر، والصبانة والحذاء يختلف بعضها عن بعض من عدة وجوه، ولكن التمييز بينها أيسر من التمييز بين الدائرة والمثلث اللذين يختلفان في الشكل وحسب،وهما بالتالي أكثر بساطة،ويمكن أن يكون الشكل أكثر تعقيداً وأكثر بساطة في وقت واحد إذا كان به عدد كبير من السمات التي تساعد على تمييزه من الأشكال الأخرى، وإن كان من المحتم وجود علامة واحدة مميزة وحسب، والرموز الجزافية تجعل الشكل معقداً، ولكن تمييزه يكون أيسر إذا ما أعطى الوقت الكافي، ولربما كان اختيارياً للأشكال المعقدة في التجارب السابقة مجرد اختيار لوقت أطول.

السن وتفضيل التكرار والجدة

هناك ما يدعو إلى الحيرة في مسألة تفضيل الأطفال للتكرار والتغير، والأطفال يحبون التكرار ولكن يظهر أيضاً أن استجابتهم للجدة والتنوع أكبر من استجابة الكبار، ويستوي في ذلك أن المشكلة مقصورة على أن كثيراً من الأشياء ومظاهر الوقائع جديدة عليهم، والأطفال معروفون بالتحول في معظم الأحوال من مشغلة إلى أخرى في أثناء اللعب، والأفراد يختلفون اختلافاً كبيراً إزاء الأنشطة ومختلف الدمى، ولكن الأطفال الذين يبلغون السادسة في المتوسط يقضون في عمل أي شيء وقتاً أطول ممكن في سن الثالثة، وكون صغار القردة يضيقون بالأشياء الجديدة بسرعة أقل من القردة الكبار، والأطفال يطلبون إعادة النظر إلى الأشكال المعقدة أكثر مما يفعل الكبار، إنما نذكره كدليل على تفضيل الصغار للجدة والتعقيد.

ولكن قد توضح هذه المقاييس مجرد الحاجة إلى التكرار أو المشاهدة أو المعالجة لمدة أطول، للحصول على قدر أوفر من نفس المعلومات، فطول فترة النظر إلى النموذج وسرعة الاستجابات إليه، وتكرار استرجاعه لمشاهدته، وعدد المرات التي يشار فيها إلى تفضيله، وطول الفترة التي يقضيها الفرد حتى "يملها"، كل هذه كانت مقاييس للتفضيل ولكنها ليست بالضرورة قابلة للتغير.

ومع ذلك فإن المعروف أن اجتذاب صغار الأطفال أسهل كثيراً من اجتذاب كبارهم وقد وجد في الحالة المقارنة إلى حد ما، الخاصة بالأطفال المتخلفين عقلياً الذين وصفوا أيضاً بسهولة صرف انتباههم، إنهم يختلفون عن أولئك الذين يمتازون بأعمار عقلية مرتفعة، لا في المعدل الذي يتعلمون فيه الاستجابة مع حركة معينة بإشارة معينة، بل في الوقت الذي يستغرقونه لفهم الإشارة المناسبة، ويبدو أنهم يوزعون انتباههم بدرجة أقرب إلى المساواة، ويحتمل أن ينطبق هذا على أطفال في مستويات العمر المختلفة.

ولا بد أن يكون الأطفال الأكبر سناً قد تعلموا تمييز مظاهر بيئية أكثر عدداً، ولكنهم لا بد أن يكونوا أيضاً قد تعلموا الالتفات إلى بعض هذه المظاهر أكثر من غيرها، فيصبحوا نتيجة لذلك أقدر على الاختيار، وصغار الأطفال والأفراد المتخلفون عقلياً قد يميزون في الواقع أبعاد شيء ما أو مظاهر حادث ما بدرجة أقل، ولكنهم يلتفتون إليها بطريقة أكثر جزافية، وبذلك يبدو انصرافهم عنها أيسر،وفي هذا الموقف يمكن أن تكون المنبهات الجديدة هي المفضلة.

ويعتبر الباحثون الروس أيضاً على ضوء نظرتهم في الانعكاسات الشرطية الموجهة أن القصور في الانتباه يوضح السبب في سهولة صرف انتباه المتخلفين عقلياً والأطفال الصغار،يميز "سوخولوف

"Sokholov"مظهرين أساسيين للانعكاس الموجه، وهما المثير العام والانتباه إلى المثيرات النوعية، والمنبهات الداخلة (مثل الضوء والصوت) تحدث طرازين من التيارات الكهربائية التي يمكن قياسها، أحدهما الذي يبدأ بالعصب الحسي المختص (البصري والسمعي) ثم يذهب إلى مناطق المخ الخاصة بالحاسة النوعية،(مثل الرؤية والسمع) وهذا يؤدي إلى ظهور ردود أفعال بصرية أو سمعية نوعية، أما التيار الآخر فينشأ عن الإثارة البصرية أو السمعية التي تصل إلى المراكز تحت السحائية وبخاصة التكوين الشبكي، ومن هنا تنتشر الإثارة إلى كل السحاية وتنبهها، وتضع الكائن الحي "موضع التأهب" وهذا النوع من رد الفعل أطول مدى، ولكنه يدرب بأسرع من رد الفعل السحائي الموجه الذي يبقى فقط لفترة قصيرة، ولكنه يقاوم المنبع المتكرر لمدة أطول، والتركيز على العمل يتوقف على ردود الأفعال السحائية المستمرة عندما تكون المنبهات قد حللت بوصفها جديدة، أما فيما عدا ذلك فتدل عليها السحاية وتختلف نظرية "برودبنت " عن نظرية سوخولوف في أن هذه الأخيرة تفترض أن المعلومات الداخلة تحلل تحليلاً كاملاً بواسطة السحاية قبل أن يحدث "المرور " وهذه تمنع ردود الأفعال على المنبهات غير الملائمة والطارئة عن طريق التكوين الشبكي، ولا يستطيع هذا المنع عند الصغار وعند المتخلفين عقلياً أن يحدث مادامت ردود الأفعال

السحائية الموجهة ضعيفة أو غير موجودة، وبناء على ذلك فإنها تقاوم جميع ضروب المثيرات غير الملائمة في البيئة.

وللمشكلة وجوه عدة تنطوي على أسئلة تدور حول سلوك القردة والناس ذوي الإصابات بالفص الأمامي للمخ، ومعروف أن مثل هذه الإصابات تضعف كفاية الأعمال التي تتضمن نمطاً من الذاكرة المباشرة، والأفراد المصابون بمثل هذه الإصابات يصرون على التصرف بطرق كانت ناجحة في وقت ما، ولكنها لم تصبح بعد كذلك، وهم يخففون في تكييف أفعالهم، ويبدو عليهم عدم القدرة على استخدام "مخزن" ذاكرتهم القاصرة، وهم في نفس الوقت أكثر تلبية لأي حدث ضئيل مفاجئ، وقد فسر هذا بافتراض وجود عطب في الأداء الوظيفي الفصوص الأمامية للمخ بحيث توقف أي ضرب من ضروب الأفعال المنفصلة عند الحيوان بما في ذلك الميل إلى الاستجابة إلى ما هو جديد، وهناك اقتراح آخر وهو أن الحيوانات ذات التهتكات في الفصوص الأمامية تلجأ إلى الوسائل المستقرة أو المألوفة في السلوك حين لا تستطيع الإحاطة بعمل ما، ويكون النقص في ملاحظة واستخدام الترتيب الذي وقعت به الحوادث .

ويجد صغار الأطفال الأسوياء كذلك صعوبة في استخدام التسلسل، فحين يطلب إليهم تقليد نسق من الخرز أو الطريقة التي علقت بها ملابس العروسة على حبل الغسيل، فإن ابن الرابعة قد

يتذكر كل أشكال الخرز، أو وحدات الملابس بصورة صحيحة تماماً، ولكنه قد يجد صعوبة في تنسيقها مرتبة في خيط، والأطفال في سن مدارس رياض الأطفال يوفقون في الألعاب التخمينية حيث يكون الحظ فيها من 75٪ إلى 25٪ وذلك بالتصاقهم بأي شيء يأتيهم بأكبر عدد من الجوائز، ولكنهم يكونون أقل توفيقاً ممن هم أكبر سناً إذا كان من الضروري وضع النموذج أو التسلسل موضع الاعتبار، وتحسين القدرة على إنجاز أعمال متسلسلة بتقدم السن، ويمكن أن يعني هذا، إما أنهم لا ينتبهون إلى تسلسل الحوادث في المكان الأول، وإما أنهم أقل قدرة على تنظيم أو ترتيب الحوادث السابقة مباشرة، أو أن تحويل انتباههم بأشياء غير متعلقة بالموضوع، ولكنها بالنسبة إليهم إشارات أكثر وضوحاً، أو استخدام "خطة" مختلفة عن الخطة التي تتبع مع الأطفال الأكبر سناً (مثل تكرار كل ما هو ناجح من البحث عن نموذج متواتر) أو يكونون أقل تمييزاً بين أعداد الحوادث حين تكون النسبتان في التوزيع أقرب إلى 50/ 50.

أما كيف تتدخل تغييرات النمو في نتائج إصابة مخ البالغ فهو شيء لم يتضح بعد،وبسبب شيء واحد تكون لإصابة نفس الموضع من المخ نتائج مختلفة اختلافاً ضئيلاً على الصغار أكثر منها على الكبار ممن تعرضوا للإصابة، والانتباه المتزايد لأي شيء "لم" يشاهد أو يسمع

بعـد،والعجز عـن تغـيير ردود أفعـال الشـخص عنـدما تصـبح غـير ملائمة،من المحتمل أن تكون غير قابلة للتفسير بنفس المؤثرات الآلية.

أما مسألة وجود تغيرات ثابتة وفقاً للسن في ردود الأفعال بالنسـبة للجدة والتغير فهي مسألة معقدة،إذ من المقـرر أن صـغار الأطفـال أقـل قـدرة علـى التركيـز مـن الأطفـال الأكبـر منهـم سـناً في جميـع الأحوال،ومثـال ذلك إذا كانت الحوادث متساوية الجـدة نسـبياً بالنسـبة للأطفال الكبار والصغـار،أو تتطـلب مهارة متسـاوية نسـبياً، إن صـغار قردة " هارلو" ظلت متشبثة لعدة جلسـات، دون مكافـأة أو دلائـل علـى الملـل، باللعـب بألغـاز السـقطة والمشـبك، ومساميـر الخـوابير ومـا إليها،ويستطيع الأطفال الآدميون التركيز لفـترات طويلـة، ويعتبـر هـذا عندهم من الأعمال المسلية، والنتائج العملية لعدد من الدراسـات الـتي أجريت علـى طـول الوقـت الـذي يقضـيه الأطفـال في اللعـب تلقائيـاً بالدمى، توحي بقوة أن " التعقيد " في هذه الدمى، بمعنى أنها تقـدم بعـض المشكلات ؛كان عاملاً في طول الوقت الذي يقضيه الأطفـال في اللعـب بدمية معينة،وكمثال على ذلك، أن سيارة صغيرة حمراء بسيطة التصـميم كانت أقل الدمى مـن حيث متـوسط الزمن الذي قضـاه الأطفـال فيمـا بين الثالثة والخامسة في اللعب بها.

والدمية التي كانت تحتوي على مشكلات في التجميع والأسس الآلية البسيطة بلغت مستوى عالياً، والجدة التي تقدم بواسطة تغيرات حسية يجب، كما أشار "برلين" أن تتميز عن الجدة التي تقدم بواسطة "لغز" عقلي، ولم يتضح حتى الآن ما إذا كانت هناك علاقة سن بين الاثنتين.

ومن ثم فإن هناك عدداً من العوامل تنطوي عليه الاستجابات للجدة والتغيير التي يتألف منها قدر كبير من أنشطة اللعب والمؤثرات الميكانيكية الفسيولوجية في الكائن الحي الصغير، الخاصة بالمحافظة على ثبات الحالة الداخلية أقل تنسيقاً، فهي أيسر استثارة نتيجة للتغيرات، وتدريبها على المنبهات الجديدة الفجائية أقل سرعة، ويسهل "صرف انتباهها" إما لعدم قدرتها على منع انتباهها إلى التغيرات الحسية غير الملائمة أو أن الحوادث التي تنطوي عليها ذات أهمية ضئيلة بالنسبة لها، أو لأنها لم تتعلم بعد ما الذي يمكن تجاهله؛ ولحظات ذاكرتها المباشرة قصيرة وأقل قدرة على تعويق ردود أفعالها.

ولا بد من قدر كبير من البحث قبل أن نعرف الارتباط الدقيق بين كل هذا وبين معدلات نمو التركيبات المخية النوعية،مع أن نقص النضج العام في القشرة يتضمن ذلك دون شك، وهناك بعض حقائق سلوكية أساسية لا تزال غير واضحة، مثال ذلك ما إذا كانت هناك فوارق مع اختلاف السن في عدد التغيرات التي تطرأ في كل وحدة

زمنية على الالتفات إلى مظهر من مظاهر الإدراك الحسي، وكذلك الاختلافات في المقدار الذي يمكن تناوله من حيث التسلسل، وهناك أيضاً نتائج التجربة،فإن الطفل الصغير لا يكون فقط قد أظهر قليلاً من المحاباة إزاء الجدة وتجربة قليلة لتمييز مختلف مظاهر الحوادث، أما الطفل الأكبر سناً فيتاح له أن ينسى بالإهمال معلومات أوفر، وإضافة حوادث جديدة تيسر له رد الفعل بسرعة وطرد المشكلة في وقت أسبق.

كل هذه المظاهر تنطوي عليها الاستجابة إلى التغيير، ولكن لا يحتمل تفسيرها جميعاً بعملية واحدة، وقد لا تتغير بنفس الطريقة بتغير السن والتجربة، وفي غضون ذلك لا يسمح تأثيرها الموحد في السلوك بالتعميم المحدد فيما يتصل بتغيرات السن، ومع ذلك فمادام هناك وحسب حوادث جديدة أكثر، وردود أفعال أقل تغيراً في متناول الطفل الصغير، يتوقع المرء أن الاحتفاظ باستمرار الطفل في عمل معين يحتاج بوجه عام إلى تغيرات خارجية مستمرة أكثر مما يحتاج إليه البالغ الذي يمكنه المشاركة بنشاطه الخاص في أنواع أكثر.

ولا يمكن الاحتفاظ طويلاً باهتمام الطفل بورقة واحدة وقلم، بل إن المشتغل بالرياضيات أو الرسام لا بد أن يجد في هذا بعض الصعوبة، والطفل يحتاج إلى معاونة من الخارج، فعبارة "ماذا أفعل يا أماه؟" قول يردده الأطفال على الدوام بعد انقضاء المرحلة التي يجرون فيها وراء

كل ورقة ترفرف، والتقاط كل ذرة من تراب أو حصاة لامعة، ويغلب على الظن أن الفنان يقضي وقتاً أطول من الطفل مع قطعة من صلصال التماثيل، بالرغم من أن البالغ غير الماهر قد يصيبه الملل بأسرع مما يصيب غيره.

المميزات التي تجتذب انتباه الأطفال

إن الجدة والتغير بكافة ضروبهما يجتذبان انتباه الأطفال كما يجتذبان جميع الثدييات سواء بسواء،فالشيء الأحدث أو الأكبر، أو الأكثر لمعاناً أو الأعلى صوتاً، أو الشيء الملون أو الذي يطلق رائحة مفاجئة، أو يكون ملمسه غير مستو، يجعلهم يتوقفون وينظرون ويصغون في بادئ الأمر على أي حال، والتغيرات المستمرة تعضد الانتباه، ولكن ليس هناك دراسات تجريبية في حدود علمنا تقارن بين استجابة الأطفال للأشياء الجديدة وبين استجابتهم للأشياء المألوفة التي يمكن إحداث تغيرات فيها بالمعالجة اليدوية وللأشياء التي يمكن تكديسها ونزعها قطعاً، ومطابقتها، والتي توجد مشكلة بوجه عام، ولكن هناك كشوفاً أخرى بأن الأشياء التي تشكل نوعاً من الحيرة مثل الخوابير والسقطات والمشابك بالنسبة للقردة، وأعمال التجمع، والأعمال التي تنطوي على قواعد بالنسبة للأطفال فهي أفضل في تعضيد الانتباه من الأشياء الجديدة التي تحدث عدداً محدوداً من النتائج،

ولكنها ذات "فوائد" أقل، وإن كانت مثل هذه الأشياء قد تحظى بقدر أكبر من الاهتمام، إن الدمى الجديدة المتقنة الصنع كثيراً ما تستأثر بانتباه الأطفال في اليوم الأول أو اليومين الأولين، ثم يطرحها الطفل جانباً إلى مشاغل أكثر استيعاباً لانتباهه.

بيد أن ما يثير انتباه الكبار والصغار على السواء هي الأحداث المدهشة والمغايرة التي تثير التوقعات المغايرة أو الاستجابات المتباينة، ولكن ردود الأفعال على هذه المظاهر من التغير لا بد أن تتوقف إلى حد بعيد على معرفة الطفل السابقة بالمادة وألفته بها.

والتعقد شيء آخر متغير وجاذب للانتباه ولكنه هو في ذاته تعبير "معقد" وقد يشير التعقيد إلى عدد من مظاهر الشيء أو عدد "الثنيات" في رسم ما أو إلى صعوبة نثرية في نظر شخص لم يملك بعد ناصية اللغة تماماً، وفي حين أن الأخير "صعب" عن طريق التعريف، فإن التعقيد في الشكل قد يجعل التمييز أيسر، بل أن الأطفال ذوي الذكاء المنحط يعرفون كيف يميزون الأشياء العادية ذات العلامات الميزة العديدة، ولكنها تمتاز بصعوبة أكبر مع رسوم بسيطة في الظاهر مثل الدوائر والمثلثات التي تختلف عن بعضها البعض في الشكل فقط.

وقد تستحب الأشياء المعقدة لأنها تجعل التمييز بينها أسهل، أو لأن بها الكثير مما ينظرون إليه، ولكن ليس من الواضح حتى الآن أيهما، ومع ذلك فهناك كثير من الشواهد على أن أي واجب "معقد أكثر مما ينبغي" عندما يقصد بذلك أنه شديد التعقيد بالنسبة للفرد بحيث يؤدي إلى الإخفاق المستمر، فإنه يجتنب بوجه عام، فإن اللعبة يجب أن تكون على أي حال في مقدور الطفل.

إن أكبر فئة من المميزات التي تجتذب انتباه الأطفال معروفة، ومهما يكن الشيء ذا الدلالة، أي الذي سبق أن أدى إلى منح الحلوى أو الابتسامات أو كان مصحوباً بحوادث هامة، أو مألوفاً أو مرجحاً في السياق، فإن فرصة ملاحظته تكون أكبر من الإشارات الأخرى، والناس يسمعون اسمهم الخاص في الوقت الذي ينتهي إليهم القليل فيما عداه، وأغلب الظن أن خصائص الأشياء الوثيقة الصلة بالحلوى تلاحظ أكثر مما تلاحظ الأشياء البعيدة عنها.

ولا بد للشيء الذي يلاحظ أن يعتمد على نضج الجهاز الإدراكي برمته "بما في ذلك عوامل الانتباه والذاكرة" والخبرة السابقة، والتنظيم العقلي المتاح للطفل، ويكتفي بعرض أمثلة قليلة، فالأطفال يتفرسون في الأشياء البعيدة عنهم فينظرون إليها بدرجة أكبر مع تقدم السن، أما

الأطفال في سن الحضانة والدراسة فيبالغون في تقدير حجم الشيء الذي يرونه مهما يكن نوعه.

وهم أكثر تأثراً من الكبار بما يحيط بهم مباشرة بشكل ما، وهم في نفس الوقت أقل تأثراً من الكبار بالإطار البعيد، مثل جدران الحجرة أو حافة الورقة عندما يقدرون ما إذا كان الشكل أفقياً.

فالأطفال أقل التفاتاً للفروق الدقيقة بين الأشكال، وهم حين يواجهون بشكل معقد يميلون إلى رؤية كتلة خالية من الفروق بالإضافة إلى بعض التفصيل الظاهري.

والاستجابة في حدود ذلك الشيء المتغير وحسب، والأطفال بحاجة إلى نوع من الدلالات أكثر من الكبار للاحتفاظ بإدراك حسي ثابت عندما يتحرك الشيء، ومع أن الأطفال فيما بين سن الثمانية عشر شهراً والخمس السنوات يستطيعون تمييز الأشكال، غير أن الشكل ليس هو الجانب الفعال عندهم.

أما بالنسبة للمتخلفين عقلياً وكذلك بالنسبة لصغار الأطفال،فإن صلابة الشكل أو محيطه أو حجمه لأقوى دلالة من كون الشيء مدبباً أو مستديراً، والقدر من الانتباه الذي يظفر به الشيء يرجع إلى درجة التشكك فيه (من حيث المعلومات).

وقصارى القول:فكلما ازدادت الحاجة إلى المعلومات،كان الأداء ضعيفاً، وفي حدود معينة، وكان حب الاستطلاع أقوى أو الوقت الذي يستغرقه عمل ما أطول،إن إنجاز الأطفال للواجبات الحسية أضعف،وهم يحتاجون إلى قدر أكبر من المعلومات المطولة،ويمكنهم العمل بأسلوب أكثر صخباً من أسلوب الكبار، فإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن نتوقع منهم أن يظهروا قدراً أكبر من حب الاستطلاع الحسي.

وبالرغم من عدم وجود دراسات في هذا الموضوع،فيما أعلم، فيبدو أن الأطفال الآدميين في أغلب الظن، يشبهون صغار الشمبانزي، تجتذبهم أشياء صغيرة وبخاصة إذا كانت لامعة السطح لمعاناً غير عادي، كقطع الزغب على الرداء،وفتات الخبز على صحفتهم،والأحجار الصغيرة اللامعة،والبقع التي تظهر على جلدهم، وما إليها، فكلها تقريباً تضايقهم أو تنعشهم.

وهناك ما يدل على أن الحواس المختلفة قد تكون أكثر أهمية في سن ما، منها في سن أخرى، فصغار الأطفال مثلاً يستطلعون الأشياء بتحسسها، ومعالجتها باليد في حين أن ذلك يتضاءل عندهم في سن الخامسة أو السادسة، ويصبح الاختبار بالرؤية وحدها هو الغالب، إلا إذا كان الشيء مجهولاً تماماً، وفي هذه الحالة يعالج كبار الأطفال أيضاً الشيء باليد، وقد يعني هذا أحد أمرين، إما أن تكون الحواس

المختلفة في سن معينة أكثر أهمية منها في سن أخرى،وإما أنه حين تقل الوسائل لتصنيف شيء جديد تجرب استجابات أكثر.

الحركة والتكرار

عندما طلب إلى فتاة في الرابعة من عمرها ألا تكف عن تحريك الدورق الموضوع على المائدة أجابت بأن ذراعها سوف تمل إذا ما توقفت، فالحركات المستمرة بالذراعين والساقين وعدم القدرة على الجلوس في سكون لأية مدة طويلة، والانفجارات المفاجئة للنشاط"المجنون" المندفع "دون هدف" والتكرار العقيم لأنماط من الحركة العقيمة، يشكل الفروق الكبرى في تصرف الكبار والأطفال.

والأطفال الأفراد يختلفون اختلافاً بيناً في نوع نشاطهم حتى عند ولادتهم، ومن المحتمل أن يكون هناك أساس تكويني لهذا،بالرغم من وجود عدد كبير جداً من العوامل المساعدة على مستوى النشاط العام، وإمكانية التحرك بعد أن تمنع الحركة أظهرت أنها تعمل عمل المكافآت الأخرى في تعلم الحيوانات.

وتغير درجات الحرارة وخاصة بالنسبة لصغار الحيوانات التي لم تضبط بعد درجة حرارة جسمها ضبطاً محكماً تؤثر في النشاط، وكذلك يفعل المنبه الخارجي المفاجئ القوي الذي يثير التركيبات الآلية عند

الكائن الحي لكي يقوم بعمل اضطراري، ويعمل تغيرات معتدلة تؤدي إلى الاستطلاع والمعالجة اليدوية، أما "الدوافع" المنفصلة إلى النشاط العضلي والحسي والاستطلاعي واليدوي فقد طرحت فيها الآراء في أوقات مختلفة، ولكن كثرة عدد هذه الدوافع جعلها عديمة الجدوى من حيث هي تفسيرات،ومع ذلك فليس هناك سبب يدعو إلى طمس الوضوح بين ضروب النشاط المختلفة.

التلوي

إن حركات الصغار التي لا تهدأ، وتلوي أقدامهم وأيديهم وأذرعهم وتبديل أوضاعهم الجسمية دون مسوغ، التي تميزها عن أفعال الكبار المتزنة المتأنية إلى حد كبير أو صغير تحتاج إلى تفسير على أساس ضبطها الذي لم يستكمل نضجه بعد، أي منع النشاط الجزافي، وتكملة بتحسين الفعل الإرادي، ونمو السيطرة الإرادية الضرورية للجلوس والوقوف والمشي تتم في تسلسل محدد، ويصدق هذا أيضاً على تناول الأشياء والاندفاع الأولي غير المميز يندرج تدريجاً في إطار الضبط الحركي الدقيق واللازم لالتقاط الأشياء أو الكتابة أو الحياكة.

فهذه المراحل يطابقها نمو التمييز والنضج المتزايدين في المناطق المناسبة من المخ، ومن الأمور الهامة الأخرى أن تكتسب النيرونات

التي تنقل السيالات العصبية، الأغلفة العازلة من "الميلين" التي تيسر لها أداة وظيفتها كما ينبغي، بالرغم من أن عمل النيرونات يمكن أحياناً أن يسبق التغليف بالميلين.

فالاستقرار والهدوء والكفاية في الحركات بوجه عام تزداد بتقدم السن، ومن نتائج المخ الناضج التنظيم الأفضل والإنجاز الأكمل،وتلوي أطفال الثدييات في ذاته حصيلة ثانوية لعدم نضجها الوظيفي من حيث الاحتفاظ بالسيطرة أو تنميتها.

والحركات غير المضبوطة وغير المميزة، الأقرب إلى الفظاظة منها إلى الرقة ليست في ذاتها سمة من سمات اللعب، ولكن يحتمل أن تزيد من طابع الافتقار إلى توجيه الأنشطة التي يقوم بها الأطفال وهدفها، وبالتالي طابع النشاط "الملاعب".

الإثارة

إن تدفقات النشاط التي تبدو فجائية دون سبب ظاهر، والحاجة إلى الاندفاع والصياح،والانطلاق الحركي المفاجئ الذي يحدث كثيراً عند الصغار، كل هذه أمور تعتبر في غالب الأحيان من سمات اللعب،إن أمثال هذه الأشياء فيما أعلم لم تظفر ببحث خاص،ومع ذلك فقد عرف قدر كبير عن الأنظمة الآلية التي تتدخل في تنبيه وإثارة

الثدييات والإنسان وحفزهم إلى العمل، ومما يتميز بالأهمية خاصة في هذا الصدد جزء من المخ الخلفي والمخ الأوسط والمخ الأمامي المعروف بالتكوين الشبكي.

ويمكن أن نتصور وجود نوع من التوصيل غير المباشر ونظام لتقوية السيالات العصبية، كما أنه يوجد نوع من الحسية، وتوصيلات متبادلة بالمراكز العليا والأنسجة التنفيذية السفلية،ومن الضروري لتنبيه الكائن الحي من اتحاد أجزاء الغدة تحت النخامية المجاورة التي تتصل السيالات الحسية عن طريقها مباشرة بالمراكز العليا (القشرة).

وهذه التوصيلات سواء كانت إلى أو من القشرة إلى التكوين الشبكي تكون عرى متبادلة، والمؤثر الكهربائي المباشر للتكوين الشبكي يثير الحيوان، كما أن إصابات التكوين الشبكي تؤثر في الاستجابة عند الحيوان إذا ما أثير إلا إذا كانت الإثارة قصيرة الأمد، وتختلف الأمخاخ غير الناضجة عن الناضجة من عدة وجوه وبخاصة في المراكز القشرية.

وقد اقترح أن النمط الاستفزازي عند صغار الأطفال الحديثي الميلاد يشبه نمط الحيوانات العاطلة من القشرة،وأن نمط الكبار ينمو فقط حين تكون القشرة ناضجة، ومهما كانت الحال فإن صغار الأطفال أقل قدرة على الاختيار في استجابتهم للمنبهات.

وبناء على ذلك فإن اندفاعات النشاط العام عند الصغار، تلك الاندفاعات المتكررة القصيرة التي تحدث لغير سبب ظاهر قد تكون ناتجة عن اكتساب بعض المثيرات المهملة غير الخطيرة، والطارئة وغير الملائمة لديها فرصة لإطلاق رد فعل عام قصير المدى، والمثير الذي يثير الكائن الحي الصغير دون أن يرهقه يعجل بالنضج.

وسائل التنظيم الذاتي

وسائل التنظيم
الذاتي

إن اللعب في معنى آخر تكراري بالضرورة،فقد كان المعروف منذ أمد طويل أن الأطفال كبارهم وصغارهم "يمارسون" تلقائياً كل مهارة جديدة عند ظهورها،فالأطفال الرضع يمتصون حيث لا يكون هناك شيء يمتص، ويثرثرون حين لا يكون هناك من يستمع إليهم،ويلوحون بقبضة أيديهم وهم يتفرسون فيها، وينهضون بأجسامهم محاولين الوقوف أو ينتقلون من مقعد إلى آخر حين لا يكون هناك من يكافئهم على قيامهم بذلك.

وهذا اللعب وأمثاله مما يحدث في سن أكثر تبكيرا، وأشد ذيوعاً من أن يفسر بالتعليم عن طريق المكافآت، وقد أطلق "بالدوين"، وهو أحد علماء النفس في التسعينات من القرن التاسع عشر، على هذه الألعاب "ردود الأفعال الدائرية" وافترض أنها ظهرت في أسلوب انعكاسي بإعادة تثبيت الفعل آلياً عن طريق المنبهات التي يحدثها، فالطفل يصرخ ويسمع وهو يصرخ، وهذا ينبهه إلى الاستمرار في الصراخ، وقد سلم "بياجه" بهذا الوصف وتوسع فيه لكي يشمل مثيرات أخرى مشابهة من البيئة منظمة لردود الأفعال هذه، ويصبح شيئاً فشيئاً متحداً بها.

وبذلك تظهر ردود أفعال ثانوية دورية أكثر تصفية، والمؤثرات الجديدة التي تحدث نتيجة أفعال عن طريق المصادفة ذات أهمية خاصة في تكرار هذه الأفعال، فدفع الخشخيشة مثلاً بمحض المصادفة يجعلها تتأرجح، أو تحدث ضوضاء، وحينئذ تكرر الحركة من أجل النتائج الجديدة، ويصبح الفعل والإدراك الحسي بدورهما جزءاً من حصيلة معلومات الطفل وتجرب في أشياء أخرى مماثلة.

ويحدث التكرار والتغيرات الطارئة الإضافية آنئذ تجارب إضافية جديدة، ويصبح الطفل أخيراً قادراً على تنويع أفعاله ويمر بها بصورة منتظمة في سبيل الحصول على النتائج المختلفة،وهو يرمي الأشياء من مختلف الأماكن، ويضرب بملعقته الأكواب والمناضد والزجاجات وأي شيء غيرها يمنحه معلومات أوفر مما يمنحه مجرد التكرار.

ويمكن أن توصف العملية أيضاً على أساس التعديل مثل مصاحبة الحركة للحديث الحسي (يقويه) الجزء الذي يكون في هذه الحالة تغيراً بيئياً.

وهناك مميزات لتصنيف ردود الأفعال الدائرية مع غيرها من أجهزة الكائن الحي لتنظيم أفعالها وفقاً لنتائجها، والتناظر الوظيفي بين الكائن الحي والأجهزة الآلية الحركة ذات التنظيم الذاتي، هو أن الكائن الحي

يحتاج إلى ترابط وثيق بين المراكز الضابطة للحركة وبين محطات استقبال الإشارات التي تستطيع أن تحدد سواء أصابت الحركة الهدف أم لم تصبه أم عثرت على متناقضات بين النقاط التي تطلعت إليها وبلغتها، وفي حالة الطيور نجد أن سماع الطائر الصغير لأغنية كالتي يغرد بها أمر ضروري لترسيخ التغريد العادي، وفي حالة الأطفال فإن الثرثرة وكذلك أشكال "المرانة" الأخرى ذات أهمية لنمو الكلام العادي.

إن تشويه الإشارات الراجعة بصورة طبيعية أو تعطيلها أو إزاحتها، تفكك السلوك، فأنت إذا تتبعث رسماً على شكل نجمة دون أن تسمح لنفسك إلا برؤية حركات يدك في مرآة، أو على شاشة التليفزيون فإن ذلك يشوه الزاوية التي تراها منها عادة، فإن حركات التتبع السريعة المتسلسلة تصبح بطيئة مهتزة وخاطئة،وكلما ازدادت الانحرافات وقل الانتظام، فإن ذلك يزيد من التأثير في الحركات – وتثبيت السماعات الكهربائية بحيث يحرم الشخص من سماع كلامه هو نفسه إلا بعد فترة التعويق، إنما يضعف قدرته على الإنجاز، ويمكن أن ينجم عنه اضطرابات خطيرة في النطق، فيكون أشبه باللعثمة، ومثل فسيولوجية الأعصاب كمثل الدليل السلوكي، يحتاج إلى تصور مثل "إعادة التغذية"، والإشارات النظرية والإحساس الصادر من العضلات مظاهر هامة

للمعلومات المرتدة التي تحكم الفصل الإضافي بواسطة التكامل العصبي المركزي.

وسواء وجد أم لم يجد شكل خاص للمعلومات المرتدة، الأكثر ضرورة من غيرها فإن هذا لا يزال موضع نقاش، ويسود الاعتقاد بأن الإحساسات التي تنبع من حركات الشخص نفسه بما يشاهده احساسات لا بد منها للنمو الطبيعي، كما نوقشت أيضاً مسألة كفاية حدوث إدراك حسي لسوء التطابق بين مصدرين خارجين من المعلومات والحصول على معلومات تتصل بنتائج أفعاله، (ومن المشكوك فيه إذا كان إدراك الأطفال للعلاقة بين أفعالهم وبين ما تنجزه هذه الأفعال من نتائج لعملية النضج، أم أن هذا أمر يرجع إلى التعليم والاكتساب).

ولا شك أن الأطفال يظهرون علامات السرور والفرح حين يحدثون آثاراً في الأشياء أو الناس بصرف النظر كلية عما إذا كانت هذه النتائج حسنة أو سيئة، أو لا هذا ولا ذاك، على أساس الحصول على الحلوى أو المديح وهذا هو السلوك الذي أشرنا إليه في أوصاف اللعبة، على أنه "الشعور بالسرور هو السبب، وهو العامل المسيطر على الخبرات والخبرات المسيطرة، أو "الدافعية الفعالة"، وسواء كان من الضروري افتراض المؤثرات الآلية لإدراك التغيرات والنتائج التي لا تعتمد على معلومات إضافية من جانب النهايات العضلية أم من غير الضروري

افتراض ذلك، فإن هـذا لا يـزال بحاجـة إلى توضـيح، ولكـن يبـدو مـن المعقول أن نفترض وجود نـوع مـن التغذيـة الرجعيـة يكمـن وراء هـذا النوع من اللعب.

وبناء على نظرية بياجيه يكون لردود الأفعال الدائرية وظيفتان:

- وظيفة مطابقة الأفعال تدريجاً للمعلومات الداخلية (تكييف).
- ووظيفة إدماج هذا مع كيفية التصنيف ووسيلة (التمثيل.

وهذه الأخيرة تتفق تقريباً مع التنسيق والاختـزان في الـذاكرة ذات النماذج، وتطبيقاً على هذه النماذج يكون مرجـع التكرار،والتكـرار مـع التغيرات في الأفعال إلى عمليات التقوية، فنحـن بحاجـة إلى افـتراض أن بعض أشكال من لعب الحركة الحسية هـي المظاهر الصـريحة للعمليـات المنظمـة قبل أن تصبح حركات تلقائيـة مسـتورة قصـيرة الـدورة عنـد البالغ.

الحل والتركيب للألعاب

كثيراً ما يدهشنا من أمر أطفالنا الصغار، ويحيرنـا مـنهم ميلـهم إلى الهدم والتخريـب تـارة، وطـوراً إلى التركيـب والتشـييد، فهـم متناقضـو النـزعة، من مدمرين هائلين إلى بناءين عظمـاء، ومـا هـذا إلا لأنهـم في

نفس السن التي يصبحون فيها محبين للاستطلاع، تظهر عندهم أيضاً غريزة مزدوجة يقترن فيها الميل إلى الحل والتكسير، بالميل إلى التركيب والتكوين.

فهم مثلاً يبنون مختلف الأشكال من الرمل، ثم يهدمونها مرة بعد مرة واجدين في ذلك لذة عظيمة، وعندما يأخذون منا لعبتهم، يتأملونها، ثم يشرعون في تحطيمها وإتلافها في بعض الأحيان، وقد يعكفون عليها منشغلين بها، يوفقون أجزاءها، ويحاولون إرجاعها إلى ما كانت عليه، وما رغبتهم في تكسيرها إلا بدافع الاستطلاع والوقوف على كيفية تركيبها، والسر الذي يحركها، ولا يلبثون أن يعودوا ينظمون قطعها، ويضمونها بعضها إلى بعض، بغرض تجريب أثر قوتهم في إعادة بنائها بذاتهم، وإبراز قدرتهم الشخصية على التكوين.

ولهذه الغريزة من الفوائد في تربية الأطفال ما لحب الاستطلاع والميل إلى اللعب بالمحسات، ونحن نستطيع ترويضها وتهذيب مظاهرها بالطريقة عينها التي تتبعها في استخدام ذينك الميلين في تربيتهم وتهذيبهم، فنعنى بتهيئة المكان الذي يكون مسرحاً يقوم فيه الطفل بالحل والتركيب من غير أن يخرجه أحد أو يزعجه إنسان، فإن وجدت بالبيت حديقة خصصنا جزءاً منها للطفل حيث يستطيع أن يشغل بفلاحتها في أحيان كثيرة،ذلك إلى جانب النصيب العظيم من الاهتمام الذي يعطيه المربي

لإرضاء هذه الغريزة أيضاً، بتوفير القوالب المختلفة وكميات الرمل وكتل الصلصال والورق الملون والبكر والفل وخامات الأعمال اليدوية وأدوات الرسم والتصوير وبعض من سقط المتاع كالصناديق الفارغة والأدوات المستغني عنها وغير ذلك من المواد التي يسهل على الطفل استعمالها في إنجاز ما يريد صنعه، مثل إنشاء النماذج للمنازل والمآذن والقناطر، ولأنواع الأثاث الصغيرة والحيوانات والطيور والفواكه، ولمناظر الشواطئ والمزارع والمدن إلى آخر ما هنالك من أشكال يواصل هدمها ومعاودة بنائها، فيؤلف من جديد طرقاً لتحسينها بصيغة أفضل فأفضل، إلى أن يحكمها بإتقان.

هذا وإن ما يجب أن نحذره في رعاية هذه الغريزة هو ألا نملي على الطفل كيفية حل لعبة أو تكوينها، فإن ذلك يضعف فيه قوة التفكير والإبداع، ويحسن بنا دائماً أن نتركه وبداهته ليعبر عن قدرته الفردية الإنشائية بنفسه، وما علينا إلا أن نبعده من دون أن يشعر عن أعمال التدمير والتخريب إلى مشروعات الترميم والبناء، فنقوم بإمداده بمواد الإنشاء الأولية قبل أن نعطيه اللعب المركبة القابلة للتكسير، فبهذا نستهويه إلى إنتاج عمل طيب يشعره بسرور النجاح بما في مقدوره من قوة فعالة،ونغافله عن بواعث الهدم والتخريب والإفناء، وهكذا يترعرع في المجتمع فرداً عاملاً ومنشئاً لا مخرباً ولا مهلكاً.

وكثيراً ما يتبرم الكبار لنشاط غريزة التخريب في الطفل،فيغضبون عندما تدفعه إلى إفساد الأشياء أو تدميرها بحيث لا يمكن إصلاحها أوردها إلى أصلها، لذلك وجب أن نحضر له لعباً رخيصة لا تثقلنا خسارتها إذا ما قطعها أو خربها، ويخطئ كل من يعاقب الطفل على ما يتلفه أو يبيده من اللعب، لأن هذا يحمله على كبت نداء هذه الغريزة، وإغفال دافعها فيشل فيه قوة النزوع إلى حلها لسبر حقيقتها واحتذاء نماذجها، وبذلك تنقص الاستفادة من هذه اللعب، و يقل أثرها في تربية حواس الطفل ومداركه وتنمية قوى التفكير والابتكار عنده.

الملاحظة عند الأطفال

في محيط الطفل الصغير أشياء كثيرة يلزمه الانتباه إليها وتلمسها بحواسه ليحيط بها خبراً،ويلم بما يتعلق بها إلمام علم ومعرفة،ثم يصور منها صوراً واضحة تتميز بها،وتبقى في ذهنه واضحة تعينه على إدراكها والإحاطة بكنهها عندما ترد عليه في سبيل حياته.

وحصر الانتباه في جسم من الأجسام، أو توجيه قوى العقل إلى واحدة من ظواهر الأعمال بغية زيادة الإلمام بها هو الملاحظة، فالطفل يلاحظ شيئاً ما إذا وجه إليه اهتمامه ولفت إليه حواسه بصفة خاصة لتوسيع معلوماته عن شكله وحجمه ولونه أو تعرف عناصره وصفاته

ومسلكه، أو فحص عوارضه الناتجة عن المؤثرات غير الظاهرة للعيان، أو غير ذلك من أوجه الاهتمام بالبيئة التي يعيش فيها.

والملاحظ في الطفل هي العماد في نمو عقله، والأساس الذي يبني عليه عمله، إذ أنها الأصل في استجماع الحقائق وإكثارها وتثبيتها في وعيه، فتتخذها الذاكرة والخيال والحكم والتعليل والتفكير ليقيم كل منها على قواعدها نشاط أعماله المختلفة، وكلما كانت الملاحظة قريبة من حقيقة الأشياء ملتصقة بالواقع من الأعمال، كان الإدراك المبني عليها صحيحاً، وعلى العكس إذا كانت قوة الملاحظة في الطفل ناقصة، فإنها تسبب قصور إدراكه وخمول تفكيره.

وتربية الملاحظة في الأطفال تساير تربية الحواس وتتمشى في خطتها مع اللعب وحب الاستطلاع والحل والتركيب، فجدير بنا إذن أن نقويها فيهم وهم صغار حتى يزدادوا بحثاً وتأملاً في الأشياء على توالي نموهم وحتى يتعودوا الدقة وحصر الفكر وهم كبار، فملاحظة اختلاف الأشكال، وتموجات الصوت وتدرج الألوان مثلاً، ينشئ الطفل على حب التوازن والوفاق وتذوق الجمال في الأشياء فينمو فناناً مهذباً، وحساساً رقيقاً، وضبط النظر وتدريب اليدين في تلمس الأجسام، تكسبه الدقة اللازمة في إحكام الحروف والصناعات المختلفة، وتنبيهه إلى إدراك مقاسات الزمن والمسافات وقيمة الأعداد، يمهد إدراكه لدروس

الحساب، وباستكمال مقدرته على الملاحظة والمقابلة بين الأشياء المادية يزدهر فهمه وتعلقه للمعاني النظرية.

وأول ما يوقظ الملاحظة في الأطفال الأشياء التي تتعلق بذواتهم، لأن الإنسان يميل بطبيعته إلى الاهتمام بكل ما يتعلق بذاته، وإزاء هذا فإن مقدرتهم على الملاحظة تكون مقصورة في أول الأمر على تبين أمهاتهم أو مرضعاتهم، ومحدودة في دائرة غذائهم وزيهم ولعبهم.

وأشد ما يلاحظ الأطفال أيضاً الأشياء الجذابة والمتحركة، فهم يدققون النظر في الألوان البهية والأنغام المشجعة والروائح الشذية والحركات المتغايرة، إذ تستحوذ على انتباههم فيقتربون منها، ويتفحصونها بكل جهودهم.

والأطفال في بادئ أمرهم يلاحظون أن الأشياء متسرعين بغير دقة، ومضطربين بغير ثبات، وذلك لأنهم لا يقوون على حصر فكرهم في شيء واحد لأمد طويل، فانتباههم يتحول من عمل إلى آخر، ومن شيء إلى شيء بسرعة لقلة ما لديهم من معلومات،ولعدم الترابط بين هذه المعلومات.

ومن أجل هذا كثيراً ما تكون مدركاتهم مغلوطة وناقصة، وملاحظاتهم غير صحيحة،وهنا يجب التدخل لإرشادهم إلى الملاحظة

على وجه التمام، فنعودهم الإمعان في النظر عند تحليل تفاصيلها، وموازنة حالاتها وتمحيص حقيقتها بروية لتصحيح أخطائهم واستيفاء معلوماتهم.

القصص وفائدتها العقلية والخلقية

عندما يناهز الطفل السنة من عمره، يبتدئ فيه الميل إلى سماع الحكايات المختلفة لأنه يجد فيها مجالاً للتعبير عن خواطره،وترويحاً لأفكاره وتسلية لنفسه، كما أنها تثير سروره ولذته، وتبعث اهتمامه على حصره لأمد طويل بدون ملل.

ولقد كان للقصة شأن عظيم في ترقية مدارك الجنس البشري،إذ اتخذها الأنبياء والقادة الخالدون وسيلة لتقريب تعاليمهم من عقل الإنسان، وما أساطير القدماء وقصصهم المختلفة إلا طرقاً حاولوا بها شرح ظواهر الطبيعة والعقائد الدينية التي كانت فوق مستوى فهم البشر في ذلك الحين، ولازالت القصة إلى الآن أفضل أسلوب لتفهيم الأطفال المعلومات، وللتأثير على نفوسهم بطريقة تدفعهم إلى الطاعة والنظام وتأدية الواجب، وتحفزهم إلى السعي نحو الكمال، وترفع شأن الحياة أمامهم فتضع نصب أعينهم حالة أعلى وأسعد، مصورة في المثل العليا

للحياة، فيسعون للوصول إليها وتحقيقها،وَيَجِدُّونَ في هذا ما استطاعوا إليه سبيلاً.

ودروس التهذيب ومشاهد الطبيعة ومبادئ العدل وحوادث التاريخ، لا يمكن بسطها للأطفال الصغار إلا بصياغتها في قالب قصصي، يكون مجدياً في إفادتهم، ومرغباً لهم في تحصيلها.

ونظراً لقيمة القصة في تقوية روح الطفل وتفتيح ذهنه، وفي تنمية إدراكه وتوسيع خياله، وتهذيب عواطفه وأخلاقه، فقد وقف لها الغربيون ساعة خاصة في برنامج أوقاته المسائية، والطفل الغربي يترقب طيلة نهاره ميعاد القصة (The Story Time) برجاء عظيم، وكم يسحره وقع الديباجة الدارجة للقصة هناك على مسامعه، وهي في سالف العصر والزمان حدث أن ... " وكم تأخذ رواية القصة بمجامع قلبه الصغير، فيعتبر حرمانه إياها أعظم عقاب توقعه عليه عند اقتضاء الحال.

صفات القصة الجيدة وأنواع القصص الملائمة للأطفال حسب أعمارهم المختلفة

صفات القصة الجيدة وأنواع القصص
الملائمة للأطفال حسب أعمارهم المختلفة

ينتبه الأطفال لسماع القصص الشائقة التي تناسب سنهم ومستوى عقولهم وتوافق ظروفهم الشخصية الخاصة، وأنواع القصص اللائقة لأعمارهم المختلفة هي الآتية:

1- من سن الرابعة إلى السابعة تناسبهم الحكايات التي تتعلق بما يألفون من صغار الإنسان والطير والحيوان، والتي تؤسس على حوادث من بيئتهم القريبة، وما فيها من رفاق وأقرباء يحيكون بهم.

وهم كذلك يميلون في هذا الطور إلى القصص العبقرية (الحواديت) وعلى الأخص ما كان فيها تكرار للألفاظ والأعداد، وما اشتدت فيها حدة الخيال مثل حكاية "الدببة الثلاثة" و"الفرخة مرخة" و "عقلة الأصبع " و "علاء الدين ذي السراج".

وهناك حكايات طريفة عن الطبيعة تستميل الأطفال كثيراً، وتوضح لهم بعض غوامضها عليهم، مثل حكاية الرجل والهواء والشمس، والأرنب والسلحفاة، والخروف والذئب، وبعض القصص المبتكرة من هذا القبيل.

2- ومن السابعة إلى دور البلوغ، تفضل الأطفال قصص الأبطال والقصص الواقعية التي منها القصص الدينية من سير الأنبياء وأئمة الدين، مثل سيرة سيدنا يوسف، وفلك سيدنا نوح، ونوادر من أخلاق هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهما.

ويحب الأطفال في هذا السن، القصص الإقليمية التي تأتي بوصف معيشة أجناس البشر في بقاع الأرض المختلفة، كقبائل العرب والهنود الحمر والأقزام والإسكيمو وأقوام الغابات الاستوائية وغيرهم، ممثلة في حياة أطفالهم.

أما تراجم الكاشفين والمخترعين والرحالين وقصص الأبطال وعظماء الرجال فتفتنهم بما فيها من شخصيات بارزة، وأعمال باهرة تلفت اهتمامهم مثل جولات "السندباد البحري" و"خريستوف كولمبس" و"ابن بطوطة" وهناك قصص عن حياة البشر في تاريخ الفطرة، وتطورات نمط الحياة، والتدرج في ابتكار الآلات، توافق الأطفال في هذه المرحلة أيضاً، وخصوصاً إذا كان أشخاصها أطفالاً صغاراً.

3- وفي دور البلوغ، يقوى في الأطفال حب القصص الحماسية التي يظهر فيها العامل الأدبي، والجهاد في سبيل المثل الأعلى،

كالذود عن الضعيف والتفاني في أداء الواجب، والتضحية والإيثار والإخلاص والشرف، مثل حكايات عن ألسنة الحيوانات والطيور تكون محتوية على مغزى مجازي، كالواردة في كتاب "كليلة ودمنة".

وكذلك الأساطير المصرية القديمة التي في متناول إدراك الأطفال، ومنتخبات من أساطير الإغريق والفرس والهنود، وعلى الأخص ما يصور منها قوانين الطبيعة ويغذي الوجدان،كأسطورة اطلانطا،وزهر النرجس،وصوت الصدى، والملك ميداس، وحصان طروادة، ورحلات عوليس.

ومن المستطاع اقتباس بعض قصص أخلاقية من الأدب العربي والشرقي والغربي تتضمن دروساً في الصدق والأمانة والوفاء بالوعد والصبر وغيرها من الفضائل، التي تكون مصدر لذة، وتترك أثراً تهذيبياً في نفوس الأطفال.

ومن الصفات التي يجب توافرها في قصص الأطفال، أن تحتوى دائماً على حوادث لانتصار الخير والفضيلة، وانهزام الشر والرذيلة،حتى توضح لهم سوء عاقبة الخيانة والقسوة وغيرهما من الصفات الممقوتة، وتحبب إليهم الخلق الحسن والطباع الكريمة وغير ذلك من الصفات المحبوبة.

وإن احتوت القصة على مكافحات بين الإنسان والحيوان، فلتكن الغلبة دائماً لبني آدم،حتى ينشأ الطفل عارفاً يسمو جنسه،ويكون قوي القلب جريئاً.

ومن شروط القصة الصالحة أن تكون ذات فوائد تعليمية، لتحقق بها أغراضها العقلية والخلقية، فتشمل معلومات صحيحة عن الأشياء المختلفة، ووصف جميل لمناظر الطبيعة وكائناتها، والعواطف النبيلة التي توقظ فيهم روح البطولة والشجاعة.

طريقة إلقاء القصص على الأطفال:

1- يجلس الراوية مع الأطفال في مكان مريح، وفي وضع تسود فيه الألفة بينه وبينهم، ويمهد المسامرة معهم بوداد ومن غير مقاطعة، ويسهل لهم رؤيته جيداً، وسماع صوته، ومشاهدة إشاراته،وأمارات الانفعال على وجهه في أثناء سرد الحكاية حتى يتتبعوها بتأثر وفهم حسن وسكون تام.

2- يستهل الراوية بفاتحة مناسبة للموضوع الذي يتجه إليه، فيقدم القصة لهم في أسلوب تميل إليه نفوسهم،وتألفه أذواقهم وأفهامهم،كأن يقوم بمقارنة بين سامعيه وبين أشخاص القصة القائمين بأدوارها، أو يسألهم بعض أسئلة

عما قاموا به من أعمال مماثلة لوقائعها، أو يصف لهم من خبرته الشخصية ما يحصر شوقهم في حوادثها المتسلسلة.

3- يشرع المحدث في إلقاء الحكاية من غير لعثمة مقتصداً في سردها بين السريع والبطيء، وبلهجة تخلق الجو الملائم للروح الشائع فيها حتى يبرز ما فيها من عواطف الحزن والسرور، أو الاستياء والرضاء، أو الهدوء والاستفزاز مع تعليق أهمية خاصة على المواقف الأساسية فيها.

4- يوضح الرواية كلما أمكن بصور من مناظرها المختلفة، ويعرضها خلال السرد في المواضع المرتبطة بها،بحيث تدخل في سلك القصة بدون مقاطعتها، كأنها جزء من مضمون وقائعها، وبذلك لا يتشتت انتباه الأطفال إليها، وتستمر سلسلة تخيلاتهم في مجراها، بدون تفكك في وحدتها.

5- ولتثبيت القصة في عقل الطفل، وربط نقطها بعضها ببعض، واستكمال حلقات التخيل في ذهنه، وتحقيق صور معانيها، وإبرازها في صورة حية، يحسن بعد الفراغ من إلقائها، أن يحبب إلى الأطفال رسم ما يروق لهم من مناظرها المتنوعة، مع إعطائهم مطلق الحرية للاختيار.

وإذا أمكن تزويدهم ببعض خامات الأشغال اليدوية، كالصلصال والرمل والورق، كان من الميسور أيضاً أن يعبروا عما استوعبوه منها بتكوين نماذج متعلقة بموضوعها.

ومما يسر الأطفال كثيراً، تشجيعهم على تمثيل وقائع القصة ومحاكاة الأشخاص البارزين فيها.

ولكيلا تثقل عليهم بإعادة القصة كما سمعوها أثر إنصاتهم الطويل إليها، يفضل مطالبتهم بتأليف البداءة من قصة مماثلة، يلقى عليهم نصفها الثاني، أو بالعكس، يطالبون بتأليف خاتمة مناسبة لحكاية يلقى عليهم نصفها الأول أو يكلفون بسرد قصة مشابهة لقصة سمعوها.

المراجع

- ألف باء مشاكل الطفولة عايده الرواجبة.
- تربية الأبناء في الزمن الصعب د. سبورك.
- التربية الاجتماعية للأطفال د. فؤاد البهى السيد.
- التربية الإسلامية أحمد شلبي.
- تربية الأطفال الجسدية والعقلية والاجتماعية حمزة الجبالي.
- التطور اللغوي عند الأطفال د. العهي علي بلحوق .
- تعاون الآباء والمدرسين د. محمد نسيم رأفت.
- تعليم الأطفال الموهوبين زيدان حواشين وغيره.
- التكييف الاجتماعي للأطفال الأستاذ السيد محمد عثمان.
- تنمية القدرة على التعلم عند الأطفال د. محمد عماد الدين إسماعيل.
- التوجيه المهني للشباب الأستاذ أحمد زكي محمد .
- جامع أحكام الصغار الأسر وشني .
- الحمل والولادة – العقم عند الجنسين محمد رفعت .
- الدفاع عن طفل آخر زمان ناديه يوسف.

- دليل إرشاد التعامل مع العنف الأسري مركز التوعية والإرشاد التربوي.
- دليل صحة طفلك بين يديك عايدة الرواجبة .
- ذكاء الطفل المدرسي د. محمد أحمد النابلسي.
- رحلة مع النفس د. يسرى عبد المحسن.
- رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين د. زينب محمود شقير.
- سبيلك إلى الصحة د. سعيد عبده.
- صحة أبنائك د. سعيد عبده.
- صورة الطفولة في التربية الإسلامية د. صالح ذياب الهندي .
- الطفل بين الوراثة والتربية محمد تقي فلسفي.
- طفلك وفنه تأليف فيكتور اوتفيلد ترجمة سامي علي الجمال.
- الطفل من الخامسة إلى العاشرة أرنولد جزل.
- الطفل والثقافة د. عبد الرزاق جعفر .
- الطفل والقراءة الجيدةسامي ناشد.
- الطفل والوراثة د. إبراهيم حافظ.





يطلب من:
مركز الرائد للخدمات الطلابية
الأردن- عمان- شارع الملكة رانيا- عمارة رقم 233
ص.ب 836- الرمز البريدي 11941
تلفاكس: 0096265356849، موبايل: 00962796612512
بريد الكتروني: dar_mostasharoon@hotmail.com



